

سلسلة محكمة دورية تصدرها الجمعية الجغرافية السعودية

١١١



مدن وادي فرناغة ودورها الحضاري في العالم الإسلامي (خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى)

د. خليف بن مصطفى غرايبة

جامعة الملك سعود الرياض المملكة العربية السعودية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الجمعية الجغرافية السعودية (ج ج س)

● هيئة التحرير ●

رئيساً.	أ.د. محمد بن عبد الله الصالح
عضواً.	أ.د. سعد بن ناصر الحسين
عضواً.	أ.د. عبد الله بن أحمد الطاهر
عضواً.	د. محمد بن صالح الربدي
عضواً.	د. محمد بن عبد الحميد مشخص

● الهيئة الاستشارية ●

جامعة الكويت.	أ.د. أمل يوسف العذبي الصباح
الجامعة الأردنية.	أ.د. حسن عبد القادر صالح
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.	أ.د. عبد الله بن ناصر الوليعي
جامعة الملك سعود.	أ.د. محمد بن عبدالعزيز القباني
جامعة أم القرى.	أ.د. ناصر بن عبد الله الصالح

● المراسلات ●

ص ب ٢٤٥٦ الرياض ١١٤٥١
هاتف: ٤٦٧٨٧٩٨ فاكس: ٤٦٧٧٧٣٢
بريد إلكتروني: sgs@ksu.edu.sa

تعبر البحوث والدراسات التي تنشر في بحوث جغرافية عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة التحرير أو الجمعية الجغرافية السعودية.



بحوث جغرافية

سلسلة محكمة دورية تصدرها الجمعية الجغرافية السعودية

١١١

مدن وادي فرناغة ودورها الحضاري في العالم الإسلامي
(خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى)

د. خليف بن مصطفى غرايبة

جامعة الملك سعود الرياض المملكة العربية السعودية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

ISSN 1018-1423
Key title =Buhut Gugrafiyya

مجلس إدارة الجمعية الجغرافية السعودية

رئيس مجلس الإدارة.	أ.د. محمد شوقي بن إبراهيم مكّي
نائب رئيس مجلس الإدارة.	د. محمد بن صالح الريدي
أمين المجلس.	د. ملهي بن علي الغزواني
أمين المال.	د. علي بن عبد الله الدوسري
رئيس وحدة الدراسات والتدريب، ومقرر وحدة البرامج الأكاديمية والتوظيف.	د. محمد بن عبد الحميد مشخص
مقرر وحدة النشر الإلكتروني للرسائل العلمية.	د. محمد بن إبراهيم الدغيري
مقررة اللجنة الثقافية والإعلامية.	د. تغريد بنت حمدي الجهني
مسؤولة النشرة الجغرافية.	د. عنبرة بنت خميس بلال
عضو مجلس الإدارة.	أ. محمد بن أحمد الراشد

الجمعية الجغرافية السعودية، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
غرايبة، خليف مصطفى
مدن وادي فرناغة ودورها الحضاري في العالم الإسلامي / خليف مصطفى غرايبة: - الرياض، ١٤٣٧هـ
ص٥٨؛ ٢٤×١٧سم - (سلسلة بحوث جغرافية؛ ١١١
ردمك: ٩- ٨ - ٩٠٥٧٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الوديان٢- المدن والقرى٣- وادي فرناغة- المناخ أ.العنوان- ب.السلسلة
ديوي ٥٥١.٤٤ ١٤٣٧/٣٤٨٨
رقم الإيداع: ١٤٣٧/٣٤٨٨
ردمك: ٩- ٨ - ٩٠٥٧٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر للجمعية الجغرافية السعودية على دعم نشر بحثي ضمن سلسلة بحوث جغرافية.
د. خليف بن مصطفى غرايبة

قواعد النشر في سلسلة بحوث جغرافية

- ١- يراعى في البحوث التي تتولى سلسلة بحوث جغرافية، نشرها ، الأصالة العلمية وصحة الإخراج العلمي وسلامة اللغة .
- ٢- يشترط في البحث المقدم للسلسلة ألا يكون قد سبق نشره من قبل.
- ٣- ترسل البحوث باسم رئيس هيئة التحرير.
- ٤- يقدم البحث على (على CD) مطبوع بنظام MS WORD بيئات النوافذ (Windows).
ويترك فراع ونصف بين كل سطر وآخر بخط AL-Hotham للمتن وبالخط Monotype Koufi للعناوين، وبنط ١٦ أبيض للمتن وبنط ١٢ أبيض للهوامش (بنط أسود للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة)، ويفرق معه ثلاث نسخ مطبوعة على ورق بحجم A4 ، مع مراعاة أن يكون الحد الأعلى للبحث [٧٥]صفحة، والحد الأدنى [١٥] صفحة.
- ٥- يرسل أصل البحث مع صورتين وملخص في حدود (٢٥٠) كلمة بالفتين العربية والإنجليزية.
- ٦- يراعى أن تقدم الأشكال في هيئة رقمية تقرأ وتعرض بالحاسب الآلي، على برنامج Adope Photoshop أو على هيئة ESO أو تنسيق TIFF على أن تكون أقل درجة وضوح للصور ٣٠٠ نقطة، ومقاس ١٨٠X١٢٠ ملم، وتكون الشكال الملونة على صيغة RGB. وتقدم الاشكال بالأبيض والأسود على وضحية التنسيق الرمادي.
- ٧- ترسل البحوث الصالحة للنشر والمختارة من قبل هيئة التحرير إلى محكمين اثنين - على الأقل - في مجال التخصص من داخل أو خارج المملكة قبل نشرها في السلسلة.
- ٨- تقوم هيئة تحرير السلسلة بإبلاغ أصحاب البحوث بتاريخ تسلّم بحوثهم. وكذلك إبلاغهم بالقرار النهائي المتعلق بقبول البحث للنشر من عدمه مع إعادة البحوث غير المقبولة إلى أصحابها.
- ٩- يمنح كل باحث أو الباحث الرئيسي لمجموعة الباحثين المشتركين في البحث خمساً وعشرين نسخة من البحث المنشور .
- ١٠- تطبق قواعد الإشارة إلى المصادر باستخدام نظام (اسم / تاريخ)، ويقتضي هذا النظام الإشارة إلى مصدر المعلومة في المتن بين قوسين باسم المؤلف متبوعاً بالتاريخ ورقم الصفحة. وإذا

- تكرر المؤلف في مرجعين مختلفين ولكن لهما التاريخ نفسه يميز أحدهما بإضافة حرف إلى سنة المرجع. أما في قائمة المراجع فيستوجب ذلك ترتيبها هجائياً حسب نوعية المصدر كالتالي :
- أ- الكتب: يذكر اسم العائلة للمؤلف (المؤلف الأول إذا كان للمرجع أكثر من مؤلف واحد) متبوعاً بالأسماء الأولى، ثم سنة النشر بين قوسين، ثم عنوان الكتاب، فرقم الطبعة -إن وجد- ثم الناشر، وأخيراً مدينة النشر. ويفصل بين كل معلومة وأخرى فاصلة مقلوبة.
- ب- الدوريات: يذكر اسم عائلة المؤلف متبوعاً بالأسماء الأولى، ثم سنة النشر بين قوسين، ثم عنوان المقالة، ثم عنوان الدورية، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ثم أرقام صفحات المقال، (ص ص ٥ - ١٥).
- ج- الكتب المحررة: يذكر اسم عائلة المؤلف متبوعاً بالأسماء الأولى، ثم سنة النشر بين قوسين، ثم عنوان الفصل، ثم يكتب (in) تحتها خط، ثم اسم عائلة المحرر متبوعاً بالأسماء الأولى، وكذلك بالنسبة للمحررين المشاركين، ثم (محرر. ed. أو محررين. eds) ثم عنوان الكتاب، ثم رقم المجلد، فرقم الطبعة، وأخيراً الناشر، فمدينة النشر.
- د- الرسائل غير المنشورة: يذكر اسم عائلة المؤلف متبوعاً بالأسماء الأولى، ثم سنة الحصول على الدرجة بين قوسين، ثم عنوان الرسالة، ثم يحدد نوع الرسالة (ماجستير/دكتوراه)، ثم اسم الجامعة والمدينة التي تقع فيها.
- ١١- تستخدم الهوامش فقط عند الضرورة القصوى وتخصص للملاحظات والتطبيقات ذات القيمة في توضيح النص.

تعريف بالباحث: د. خليف بن مصطفى غرايبة، أستاذ جغرافية المدن المشارك، قسم العلوم الأساسية، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

الملخص

يعتبر وادي فرغانة جزءاً مهماً من تركستان الغربية في آسيا الوسطى، وتوزع أرض الوادي على ثلاث قوميات، هي: الأوزبكية، وتحتل الجزء الأوسط والغربي من الوادي، والتاجيكية في الجزء الجنوبي الغربي، أما القرغيزية فتحتل الجزء الشرقي منه، أو المنابع العليا. ونظراً للغنى الطبيعي الذي يتمتع به الوادي، وموقعه المهم على طريق الحرير، ووجود الأمن والاستقرار الذي توطد بفضل انتشار الإسلام بين سكانه، فقد شهد الوادي قيام العديد من المدن التي كانت مراكز تجارية وعلمية، ساهمت في ازدهار الحضارة المحلية، والحضارة الإسلامية والعالمية خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى. ومن أبرز هذه المدن: فرغانة (الأوزبكية)، وأوزجند (Uzgen) (القرغيزية)، وخجندة (Khujand) (التاجيكية).

يهدف هذا البحث إلى حصر أسماء مدن وادي فرغانة، وإبراز الدور الحضاري العام الذي أدته هذه المدن في العالم الإسلامي خلال فترة الدراسة، وخاصة في الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، والثقافية.

ولتحقيق الهدف العام السابق أتبع الباحث المنهج الموضوعي الإقليمي المتبع في الجغرافيا التاريخية، الذي يركز على دراسة شخصية المكان في فترة زمنية معينة. توصل البحث إلى نتائج تُشير في مجملها إلى أهمية وادي فرغانة كهمزة وصل بين الشرق والغرب، وإلى الدور الحضاري الذي قامت به مدن هذا الوادي. كما تضمن البحث توصيات من شأنها إعادة الدور الحضاري لدول آسيا الوسطى في تعميق التواصل والتقارب بينها وبين الدول العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: وادي فرغانة، آسيا الوسطى، مواضع المدن، الدور الحضاري، العالم الإسلامي.

المقدمة :

اشتمل التوسع الجغرافي للفتوحات الإسلامية (التي امتدت من آسيا الوسطى شرقاً إلى إسبانيا غرباً) على مساحاتٍ واسعةٍ من قلب العالم القديم، وكانت هذه المساحات أكثر من سواها أهميةً وخاصةً في الجوانب: الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وذلك لتنوع مناخها، وتنوع منتجاتها الزراعية، والصناعية، والمعدنية، وارتفاع كثافتها السكانية، وتنوع أعراقها البشرية، وما ينجم عنه من تعددٍ في أساليب الحياة الثقافية والفكرية.

وكما يقول موريس لومبارد Lumbard.M "إذا كانت الغزوات الجرمانية قد ساعدت في انحطاط الغرب، فإنَّ الفتوح الإسلامية قد أنتجت انبعاث حضارته، ونرجح القول بأنه بفعل الفتح الإسلامي استطاع الغرب أن يستأنف التماس مع الحضارات الشرقية، وتركز الدور التاريخي للفاحين المسلمين بإنشاء مجالٍ دينيٍّ وسياسيٍّ فسيح، ضمَّ شتات ممالك وشعوب شتى ضمن إمبراطوريةٍ واسعةٍ. وقد ظلَّت المجتمعات في بلاد الفتح تمارس نشاطها دون توقُّف تحت وشاح الخلافة الإسلامية، تُغذيها تعاليم الإسلام السَّمحة، بتوجهاتٍ واضحةٍ في الديمقراطية، والمساواة، والشمولية. وبدأت الشعوب في بلاد الفتح من نصارى، ويهود، أو عجم وموالي يؤدون دوراً حاسماً في صناعة حضارةٍ توفيقيةٍ (Syncretic Culture) التي هي الحضارة الإسلامية، وفي جميع أنشطة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية". (لومبارد، ١٩٩٨م، ص ٢٠).

وهكذا شكَّلت الفتوحات الإسلامية في المناطق المفتوحة بوتقة انصهرت فيها الشعوب والموارد، ونتاج عنها حياة مستقرة في جميع أنحاء العالم

الإسلامي الذي كان يرتبط بشبكة واسعة وآمنة من طرق المواصلات البرية^(١)، أدت بالتالي إلى إيجاد حضارة توفيقية كما ذكرنا سابقاً، وقد تم ذلك من خلال ثلاث وسائل، هي: (لومبارد، ٢٢، ١٩٩٨م):

- ١- الأسلمة، (Islamisation) أو نشر الإسلام كديانة.
- ٢- التعريب (Arabisation)، أو استعمال اللغة العربية كأداة تفاهم وتعامل.
- ٣- الأسمتة (Semitisation)، أو الصبغة السامية، وتلك هي الحضارة العمرانية التوفيقية للشرق القديم (الإمبراطورية الفارسية والممالك الهلنستية) التي انتشرت خارج العالم الإسلامي بعدة وسائل أهمها: اللسان العربي.

كما فرض الطابع السامي نفسه أيضاً بواسطة طرق الشتات (Diaspora) التجارية بين الشرق والغرب، وهذه الوسائل كانت تظهر وتتطور في المدن (مثال مدن وادي فرغانة محور هذه الدراسة). ومن هذه المدن كان يتم الإشعاع في اتجاه الأرياف والبوادي المحيطة بها، وهكذا أصبح العالم الإسلامي

(١) نظراً لاتساع رقعة العالم الإسلامي، فقد شغل أمن الطرق بمفهومه الشامل حيزاً واسعاً من الاهتمام، فالطرق هي شرايين الحياة، وصيانة أمنها والاعتناء بمراقبتها يُعدّ مؤشراً مهماً من مؤشرات التقدّم والازدهار الحضاري، واتخذت الدولة الإسلامية عدّة تدابير لحماية هذه الطرق مثل: بناء القلاع، والمنارات، وإقامة المعسكرات، وتسيير الدوريات عليها، ووضع الحراسات على أبراج الحمام الزاجل. للمزيد عن أمن الطرق، وكيفية صيانتها، وسلامتها، وهندستها، ومراقبتها انظر:

- البلوي، سلامة (٢٠٠٨م) "مدخل لدراسة أمن الطرق في الحضارة الإسلامية"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥، العدد ٢، ص ٩٧-١٢٥.

في فترة القرون الأربعة الهجرية الأولى (بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر الميلاديين) مركزاً لحركة حضارية مُميّزة، خاصة في إقليم وادي فرغانة الذي شكّل همزة وصل مهمة على طريق الحرير الذي كان يربط شرق الصين بمناطق تركستان الشرقية (الواقعة في الصين حالياً) وتركستان الغربية (الواقعة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية)، وامتداده غرباً وتفرّعاته مع أوروبا وإفريقيا مروراً بالأقاليم العربية (Bently,1930,320).

١:١ منطقة الدراسة:

تتمثل منطقة الدراسة بالسّهّل الفيضي الذي يجري فيه وادي فرغانة Fergana Valley، وهو إقليم خصب يقع في وسط آسيا، ويأخذ شكل المثلث، يتكون جسمه الرئيسي من الجزء الشرقي لأوزبكستان Uzbekistan، ويمتد ليشمل الجزء الشمالي من تاجيكستان Tajikistan، ويتوغّل رأسه ليحتل جزءاً مهماً من أراضي قرغيزستان Kyrgyzstan. وينحصر الوادي فلكياً بين خطي طول 30° و 69° و 20° و 73° شرقاً، وبين دائرتي عرض 20° و 40° و 50° و 41° شمالاً (الأشكال أرقام ١ و ٢ و ٣).

ويقع الوادي على طريق الحرير الشمالي Northern Silk Road الذي يربط بين شرق آسيا وحوض تاريم، وتركستان الغربية، وتركستان الشرقية في الصين شرقاً، وبلاد ما بين النهرين، والعديد من الأقاليم الإسلامية والعربية غرباً. ونظراً لذلك الموقع ازدهرت العديد من المدن فيه، ومن أهمّها: فرغانة Fergana، وأنديجان Andijan، وكوكند Kokand، وغيرها في الجزء الأوزبكي؛ ومدن: أوزجند Uzgen، وأوش Osh، وجلال آباد Jalalabad في الجانب القرغيزي، ومدينة خوجند (خجندة) Khujand في الجزء التاجيكي.

٣:١ مجالات الدراسة:

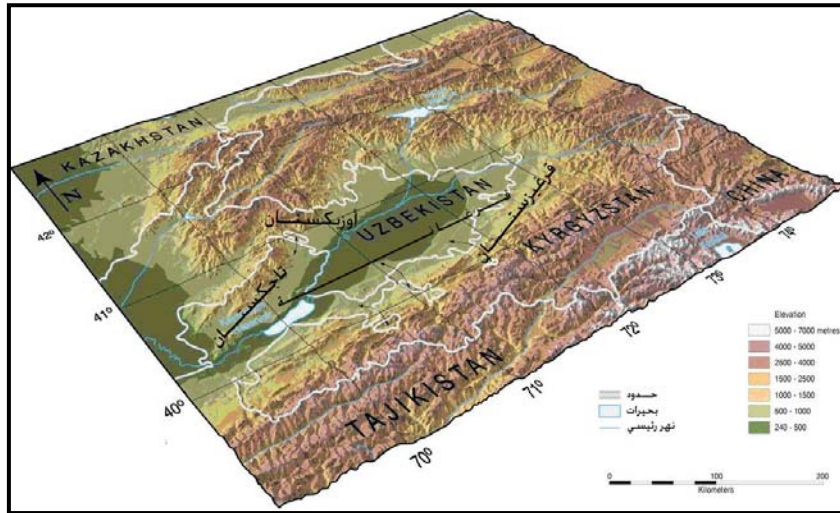
- التزم البحث في تحقيقه لأهدافه مجالات ثلاثة، هي:
- المجال المكاني (الجغرافي): ويشمل السهل الفيضي لحوض وادي فرغانة بطول ٣٠٠ كم، واتساع ٧٠ كم، ومساحة ٢١ ألف كم^٢.
 - المجال الزمني (التاريخي): ويشمل الأحداث التاريخية التي جرت في وادي فرغانة خلال الأربعة قرون الهجرية الأولى (من ٦٢٢م إلى ١٠١٠م).
 - المجال السكاني (البشري): ويشمل مجموعة المدن الثلاث عشرة، وهي المدن الأوزبكية السبع (فرغانة، وأنديجان، وكوكند، وأخسيكث، وكوفا، ورشتان، ومارجيلان)، والمدن القرغيزية الثلاث (أوش، وجلال آباد، وأوزجند)، ومدينة خوجند التاجيكية.

شكل رقم (١): موقع منطقة الدراسة من قارة آسيا والعالم.



المصدر: من عمل الباحث.

شكل رقم (٢): منطقة الدراسة (وادي فرغانة في آسيا الوسطى) بالأبعاد الثلاثية.



المصدر: من عمل الباحث عن: UNEP/DEWA/GRID-Geneva, June 2004

شكل رقم (٣): صورة جوية لمنطقة الدراسة.



المصدر: من عمل الباحث عن: pedia.org/wiki/Central_Asia

٣:١ مشكلة الدراسة ومبرراتها وأهميتها:

تعتبر منطقة فرغانة واحة أكثر منها وادي، حيث يوجد فيها أفضل طقس، وأخصب تربة، وأكثر كثافة سكانية في كل وسط آسيا. كما كان للمنطقة مكانة إنسانية تاريخية وجغرافية مُميّزة، لما لها من تراث إنساني حضاري يعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد (جمعية وطن، ١٩٩٠، ص ٦). وقد زادت أهمية فرغانة خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى فأصبحت همزة وصل بين وسط آسيا وشرقها من جهة، وبين أقاليم العالم الإسلامي في جنوب غرب آسيا وغربها وإفريقيا من جهةٍ أخرى، وبوتقة إسلامية انصهرت فيها شعوب وأعراق ولغات وثقافات متعددة.

وقد أدى سكان المنطقة دوراً مهماً في التفاعل الحضاري التوافقي بين هذه الشعوب في الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، بحكم الموقع الإستراتيجي لمنطقتهم التي كانت تُشكّل تقاطع الطرق لحركة الناس، والسلع، والأفكار في جزءٍ مهم من طريق الحرير، كما كانت بوابة عبور مهمة لا بديل لها على أهم المسالك التي تربط بلاد الأتراك بالصين ومنذ القدم، خاصة في عهد أسرة بني سامان التي حكمت بين ٨٧٥، و٩٩٩م (لومبارد، ١٩٩٨م، ص ٢٨٧).

وبالرغم من الأهمية التاريخية والحضارية التي أدتها منطقة وادي فرغانة بشكلٍ عام، إلا أنها لم تحظَ بدراسة تُبرز شخصيتها وخصوصيتها في حدودها الجغرافية المعروفة، وجاءت معظم الدراسات عنها في معرض الدراسات عن وسط آسيا، وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة ومبرراتها التي جاءت لتجيب عن مجموعة من التساؤلات أهمها:

- أين يقع وادي فرغانة؟ وما أقسام تضاريسه؟ وما نوع تكويناته الجيولوجية؟ وما الصفة العامة لمناخه؟ وما وضعه المائي؟ وما أنواع التربة فيه؟
- كيف كان وضع وادي فرغانة قبل الفتح الإسلامي وبعده؟ وما هي أزهى الفترات التاريخية في حياة سكان الوادي؟
- هل أدت العوامل الجغرافية والتاريخية السابقة أهميّة في إبراز وادي فرغانة؟ وكيف؟
- ما هي مدن وادي فرغانة؟ وكيف تتوزّع جغرافياً؟ وما هي المدينة الأبرز فيها؟
- ما الدور الحضاري الذي أدته مدن وادي فرغانة مع المحيط المجاور عامة، ومع العالم الإسلامي خاصّة؟

١:٢ أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف العام الآتي:

- حصر عدد مدن وادي فرغانة، وإبراز الدور الحضاري العام الذي أدته هذه المدن في العالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، خاصّة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية.
- كما سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف الفرعية الآتية:
- التعرف على الملامح الجغرافية العامة لوادي فرغانة.
- التعرف على الملامح التاريخية العامة لوادي فرغانة خلال الفترة المذكورة.
- حصر أسماء مدن وادي فرغانة، والتعرف على موقع وموضع كلٍّ منها.
- التعرف على المكونات العمرانية الأساسية لمدن وادي فرغانة.
- إبراز خصوصية هذا الوادي الذي أعطته شخصية مميّزة عن غيره من الأقاليم المجاورة.

٥:١ الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات على مستوى إقليم وادي فرغانة، ومعظم الدراسات عن هذا الوادي جاءت ضمن دراسات عامة، ومن أهم هذه الدراسات: دراسة لسترنج التي تبحث في صفة العراق، والجزيرة العربية، وإيران، وأقاليم آسيا الوسطى ومن ضمنها إقليم وادي فرغانة (لسترنج، ١٩٨٥م، ص ٥١٧ - ٥٣٢).

وقد أسهب الرحّالة العرب والمسلمون في وصف المنطقة كجزءٍ من إقليم آسيا الوسطى، ومن هؤلاء الرحّالة: ابن حوقل الذي كتب عن وادي فرغانة في القسم الثاني من كتابه "صورة الأرض" (ابن حوقل، ١٩٢٨م، ص ٣٧٩)، والإصطخري الذي ضمّن كتابه "المسالك والممالك" ٢١ خريطة. وكانت الخريطة رقم ٢١ عن بلاد ما وراء النهر (الإصطخري، ٢٠٠٤م، ص ٣٢٥)، وابن خرداذبة الذي أشار إلى الوادي كجزء من بلاد ما وراء النهر (ابن خرداذبة، ١٨٨٩م، ص ٣٠).

جاءت هذه الدراسة المتخصّصة في وادي فرغانة، لتكون من الدراسات القليلة التي أعطت هذا الإقليم شخصيته المميزة من خلال الدور الحضاري الذي قامت بها مدنه خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، حيث كانت هذه الفترة من أزهى الفترات التي عاشها العالم الإسلامي بشكل عام، ومنطقة وادي فرغانة بشكل خاص.

٦:١ منهجية الدراسة:

لتحقيق الهدف العام والأهداف الفرعية لهذه الدراسة اتّبع الباحث المنهج الموضوعي الإقليمي المتّبع في الجغرافيا التّاريخية (www.arabgeographers.net)،

الذي يُركّز على دراسة شخصيّة المكان في فترة زمنيّة مُعيّنة، فالمكان (الإقليم) هو وادي فرغانة، والفترة الزمنيّة هي فترة الدراسة المُتمثّلة في القرون الهجرية الأربعة الأولى (ق ٦ - ق ١٠م)، والموضوع هو مدن وادي فرغانة ودورها الحضاري في العالم الإسلامي.

٣ - الملامح الجغرافية التاريخية العامة لوادي فرغانة:

٣:١ الملامح الجغرافية العامة لوادي فرغانة:

يتكوّن حوض وادي فرغانة من سهل فيضي شبه مُغلق، ويستمد خصوبته من التقاء مياه الروافد العليا لنهر سيحون (الشاش كما يُسمّيه العرب) بوادي فرغانة، لتصبّ مجموعة الروافد هذه بنهر سيحون (السيرداريا)، وأهم هذه الروافد (الموصلي، ١٩٧١م):

- نارين Naryn: وينبع من جبال تيان شان Tyan Shan، ويبلغ طوله ٧٤٧ كم وتتجمّع فيه المياه من البحيرات على يمينه، وتأتيه من الجهة اليسرى روافد تنبع من سلسلة فرغانة على ارتفاع ٣٠٠٠ م.
- قاراداريا Karadarya: وينبع من جبال ألتاي Altai على ارتفاع ٤٣٠٠ م، ويجري إلى الشمال من مدينة أنديجان.

يلتقي الرافدان إلى الجنوب من مدينة نمانغان Namangan، ويجلبان معهما كميات كبيرة من رواسب الطمي والغرين من المرتفعات المجاورة (شكل رقم ٤)، وهذه دراسة موجزة للملامح الجغرافية العامة للوادي:

- أ- موقع وموضع وادي فرغانة: وادي فرغانة حوض شبه مُغلق، يرتفع ٤٦٠ م عن سطح البحر، يمتد في بلاد الأوزبك، والطاجيك، والقرغيز في آسيا الوسطى، تحيط به الجبال من الشمال (شاتقال Chatcal mountains)، وهي الأطراف

الجنوبية لمرتفعات تيان شان Tien-Shan، ومن الجنوب (آلاي Alai mountains)، و(التركستان Turkistan mountains)، وهي الأطراف الشمالية لمرتفعات جيسار آلاي Gassers-Alai، ومن الشرق (فرغانة Ferghana mountains)، ومن الشمال الغربي (كرمان Kuramin mountains)، (Watson, 1968, 100, 104).

وهذه الجبال هي امتدادات طبيعية لسلاسل جبلية ضخمة تتفرع عن جبال غرب الهملايا، هما: البامير Bamir، والهندكوش Hindu-Kush من الجهات الجنوبية من الحوض (الأشكال أرقام ٤ و ٥)، ولحوض الوادي فتحة من الجهة الجنوبية الغربية عرض ٩ كم تُسمى (بوابة جود شاندا).
(http://en.wikipedia.org/wiki/Fergana_Valley).

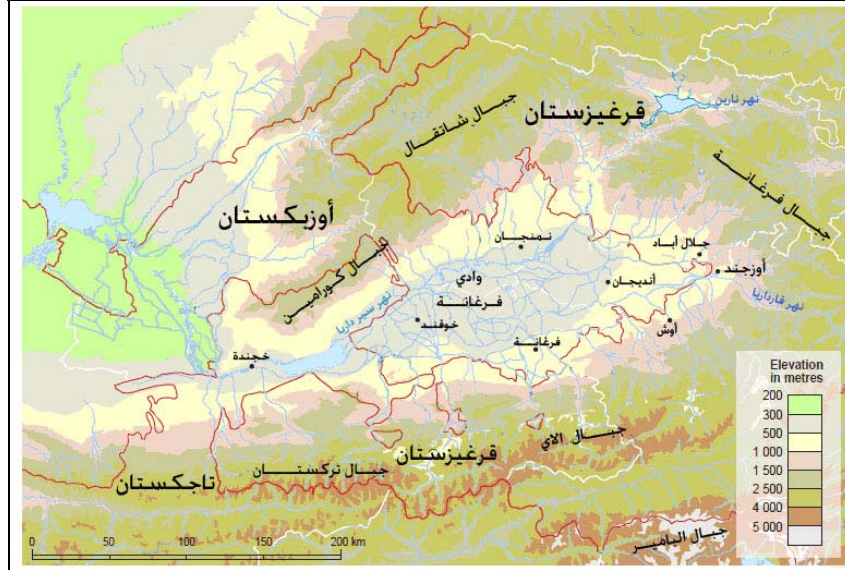
ب - التركيب الجيولوجي والتضاريس: يُشكّل وادي فرغانة منخفضاً جيولوجياً بمساحته ٢١٠٠٠ كم^٢ في مناطق جبلية مرتفعة، وقد جعل منه هذا الموقع منطقة جغرافية مختلفة عما يجاورها، وقد تشكّل الجزء المركزي من المنخفض الجيولوجي [geological depression](#) الذي كوّن الوادي من هبوط كتلة إلى أعماق تقدر بنحو ٦ - ٧ كم، تكونت على أثرها العديد من الانكسارات، حيث بدأت الرواسب بتغطية المنخفض خلال الفترة الممتدة بين عصري البرمي والترياسي (Permian-Triassic)، بعض هذه الرواسب هي من أصل الكربونات البحرية والطين، وقد كوّنّت هذه الظروف مصائد للبتروول والغاز الطبيعي في مراحل الترسيب التي غطّت أرض الوادي^(٢).
ومن دراسة خريطة التضاريس للمنطقة (شكل ٤) يمكننا تقسيم حوض وادي فرغانة إلى:

(٢) للمزيد عن جيولوجية حوض وادي فرغانة انظر:

- http://en.wikipedia.org/wiki/Fergana_Valley

- http://www.grida.no/graphicslib/detail/topography-and-hydrography-of-the-ferghana-valley_101c.

شكل رقم (٤): طبوغرافية وهيدرولوجية حوض وادي فرغانة.



المصدر: من عمل الباحث عن:

Viktor Novikov and Phillipe Rekaewicz UNEP/GRID-ADRENAL – April, 2005

- ١- مناطق السهول الفيضية، والمروج المحاذي لنهر السيرداريا: ويتراوح ارتفاعها من ٢٤٠ - ٥٠٠ متر، وتشكل ما نسبته ٥٠٪ من مساحة الوادي، وتوجد في الثلث الغربي من الحوض، وتسمى نسيا العليا في بلاد التاجيك، ونسيا السفلى في بلاد الأوزبك، كما توجد في الثلث الأوسط والشرقي على ضفاف نهر السيرداريا، وهذا الجزء يخلو تماماً من وجود الجبال أو التلال، وتزدحم به المدن والقرى. ومن أهم مدن نسيا العليا: مدينة خجندة التاجيكية (عند مدخل الوادي تماماً)، وكوكند تليها شرقاً نسيا السفلى ومن مدنها: أخسيكت، وزندرامش، ونجرك، واستيقان (الأوزبكية).

٢- مناطق أقدام الجبال والسفوح الجبلية الدنيا: ويتراوح ارتفاعها من ٥٠٠- ١٠٠٠م، وتُشكّل ما نسبته ٣٠٪، وفيها يجري نهر سيرداريا وروافده العديدة التي تنصرف إليه من الجبال المجاورة، وتزدحم هذه المنطقة بالعديد من المدن الأوزبكية المهمة منها: مارغيلان، وفرغانة، وكوفا، وأنديجان، ورشتان، وكوفا وجميع هذه المدن أوزبكية.

٤- مناطق السفوح الجبلية العليا المطلّة على الوادي: وهي السفوح الجبلية التي تُحيط بمناطق السفوح الجبلية الدنيا من جميع الجهات ما عدا المدخل في الجهة الجنوبية الغربية، ويتراوح ارتفاعها من ١٠٠٠ - ١٥٠٠م، وتُشكّل ما نسبته ٢٠٪ من المساحة، وفيها تجري المنابع العليا لنهر سيحون (السيرداريا) والعديد من الروافد، وفي هذه المناطق توجد المدن القرغيزية: أوش، وأوزكند (أوزجند)، وجلال آباد.

ج- الملامح الجغرافية الأخرى: (المناخ، والمياه، والنبات الطبيعي، والنظام البيئي للحوض والتربة):

نظراً لموقع وادي فرغانة الداخلي بعيداً عن المؤثرات البحرية من جهة، ولأنه حوض شبه مُغلق من جهةٍ أخرى، فإنّ مناخ الوادي يتّصف بشكلٍ عامٍّ بالمناخ الجاف الحار صيفاً، الدافئ المشمس خريفاً، شديد البرودة شتاءً مع ارتفاع نسبة الرطوبة، تغلب عليه سمة المناخ القاري (Continental climate)، حيث تتطرّف فيه درجات الحرارة بشكلٍ واضحٍ، ففي شهر آذار (مارس) يكون المتوسط الحراري ٢٠° م، ليرتفع المتوسط إلى ٣٥° م في شهر حزيران (يونيو). ويظلّ الجوّ جافاً إلى شهر تشرين أول (أكتوبر) حيث يبدأ سقوط المطر والثلوج،

وتبدأ درجات الحرارة بالانخفاض السريع لتصل أحياناً إلى 20° م تحت الصفر في شهري كانون الأول (ديسمبر)، وكانون الثاني (يناير)، وبذلك يتسع المدى الحراري السنوي ليصل إلى 50° م (WWW.travelzad.com/vb/t64560-8html).

ولكن وفرة المياه في الوادي تُساعد على التخفيف من حدة الحرارة، وتأثير المدى الحراري على أنشطة السكان. ويجري في الوادي نهر سيحون الذي يتلقى العديد من الروافد الوافدة إليه من المرتفعات الجبلية التي تحيط بحوض فرغانة كالسوار، ومن أبرزها نهري نارين، وقارا داريا (شكل رقم ٤).

ووفقاً لنظام المناطق البيئية العالمي (WWF Ecozones)، يُعد حوض وادي فرغانة وآسيا الوسطى عموماً جزءاً من النظام البيئي Palearctic، وهو أكبر منطقة إحيائية في آسيا الوسطى، ويتكون من المراعي المعتدلة، والسافانا، ومناطق الأدغال، والمراعي الجبلية، ومناطق الشجيرات، والغابات الصنوبرية المعتدلة^(٣). وتتكوّن تربة وادي فرغانة من إرسابات فيضية (طمي) جلبتها مجموعة كبيرة من الروافد النهريّة العليا لوادي فرغانة ونهر سيحون، وجلبت معها كميات كبيرة من الأسمدة، ولذا تُعدّ من أخصب أنواع التربة، حيث تنتشر فيها زراعة القطن، والكروم، ومختلف الأشجار المثمرة.

^(٣) النظام البيئي Palearctic، أو Palearctic هو واحد من ثمانية أنواع من الأنظمة البيئية العالمية التي تقسم الأرض.

ومن الناحية الطبيعية يُعتبر النظام البيئي Palearctic هي أكبر الأنظمة البيئية، ويشمل المناطق الإيكولوجية الأرضية من أوروبا وآسيا إلى الشمال من جبال الهيمالايا، وسفوح وشمال أفريقيا، والأجزاء الشمالية والوسطى من الجزيرة العربية.

- وللمزيد عن هذه الأنظمة البيئية انظر: http://en.wikipedia.org/wiki/Terrestrial_ecozone

- http://en.wikipedia.org/wiki/Palearctic_ecozone

٢:٣ الملامح التاريخية العامة لوادي فرغانة:

- أ- وادي فرغانة قبل الفتح الإسلامي :
- يُعتقد أن أول استيطان لوادي فرغانة كان حوالي ٥ إلى ٧ آلاف سنة مضت ، ويتضح ذلك في تراث هذا الوادي وصناعات أهله المحلية ، الذين أبدعوا في صناعة الحرير والسيراميك والخشب ، وعدة صناعات حرفية أخرى (<http://www.marefa.org/index.php>).
- أسّس الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٩ ق.م مدينة الإسكندرية في الجزء الجنوبي الغربي من وادي فرغانة ، وعلى الضفة الجنوبية لنهر السير داريال (Syr Darya ، وفي موقع مدينة خجندة التاجيكية^(٤) ، ثم أصبحت تابعة للسلوقيين قبل انفصال باكتريا ومركزها بلخ (شكل رقم ٥) ، وللمملكة اليونانية - الباكثيرية Bactrian The Greco- التي تأسست عام ٢٥٦ ق.م ، وانتهت عام ١٢٥ ق.م عندما تعرّضت للغزو من الشرق وقام Yuezhi بحرقها وتسويتها بالأرض ، ومع ذلك فقد تأثر وادي فرغانة بالثقافة الهلينيستية (Bernard, 1994, pp. 88-97).
- وفي القرن الثاني ق.م أصبح الوادي الخصب (وخاصة بالحبوب والعنب) محطة مهمة على طرق الحرير الشمالي Northern Silk Road ، الذي كان يربط العاصمة الصينية القديمة شيان Xi'an ، ويمر عبر جبال Wushao Ling ، ومنها إلى مدينة كاشغر Kashgar في تركستان الشرقية ، ومنها إلى مدن وادي فرغانة

(٤) يرى المؤرخون الصينيون بأن معظم بلدات هذه المملكة تعود إلى قبل أكثر من ٢١٠٠ سنة ، حيث كانت ممراً بين

حضارات اليونان ، والصين ، وباكتريا Bactri ، وبارثيا Parthian . وللمزيد انظر:

http://en.wikipedia.org/wiki/Fergana_Valley

(تركستان الغربية)، ومدن بلاد فارس إلى موانئ البحر الأبيض المتوسط (Wood,2002,76).

ب - وادي فرغانة منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية الدولة الأموية (الحفناوي، بوابة الحرمين <http://www.alharamain.gov.sa>): تم أول اتصال للعرب بشعوب وسط آسيا في سنة ٢٢هـ (٦٤٩م)، عندما تقدم الأحنف بن قيس في أجزاء من المنطقة متعباً يزدجرد ملك فارس التي هرب إليها عقب هزيمته، وابتداءً من عام ٣١هـ أخذ النفوذ العربي يتوطد في المنطقة، إذ سار في ذلك العام عبد الله بن عامر بن كريز على رأس حملة عسكرية موفداً من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتمكنت هذه الحملة من فتح بلدان كثيرة في بلاد تركستان الغربية وبعض المناطق المجاورة لنهر أموداريا.

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان تقدم الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري عام ٥٠هـ (٦٧٧م) نحو المنطقة الجنوبية من بلاد (التركستان) حتى اجتاز نهر أموداريا (جيحون)، في جنوب (أوزبكستان) فكان أول من اجتاز النهر بقوات إسلامية إلى داخل بلاد التركستان.

أحرز المسلمون أكبر انتصاراتهم في وسط آسيا فيما بين عامي ٨٧هـ - ٩٧هـ (٧٠٥ - ٧١٥)، وهي الفترة التي حكم فيها قتيبة بن مسلم بلاد خراسان، ولقد كان الإسلام يتقدم نحو المشرق، وكانت مرحلة التوسع العربي في بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، واستغرقت عشر سنوات. وخلال السنوات من ٩٤ إلى ٩٧هـ (٧١٢ - ٧١٤م) وصلت القوات الإسلامية وادي فرغانة، وحوض نهر سيرداريا، أو سيحون (الشاش) عموماً، وولي العمال العرب على جميع البلاد بما فيها فرغانة.

شكل رقم (٥): مملكة باكتريا (إلى الجنوب الغربي من وادي فرغانة).



المصدر: عمل الباحث من : <http://www.marefa.org/index.php>

ج- وادي فرغانة في عصر الدولة العباسية: كانت أعظم الانتصارات العربية في آسيا الوسطى تلك التي انتصر فيها العباسيون على الصينيين في معركة طالاس سنة ١٣٤هـ (٧٥٢م)، وأصبح وادي فرغانة - على أثرها- تحت الحكم العباسي. وفي القرن الثالث الهجري اعتنق عدد كبير من قبائل التركستان الإسلام في عهد الخليفة المعتصم (الحفناوي، بوابة الحرمين <http://www.alharamain.gov.sa>). وفي نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، استولى الأتراك القره خانيون

على ما وراء النهر، ولكن حكمهم لم يستمر طويلاً لوقوع هذه المنطقة تحت سيطرة السلاجقة من منتصف القرن الخامس الهجري. وبقيت بلاد ما وراء النهر من ممتلكات السلاجقة ما يقارب القرن، ولكن قبل وفاة السلطان السلجوقي سنجر سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م لم يبقَ للحكم السلجوقي فيما وراء النهر سوى الاسم. وفي القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أصبح وادي فرغانة تحت الحكم الساماني، وأخيراً وبحلول القرن الحادي عشر أصبحت مدينة أخسيكث عاصمة الوادي، بعد ذلك تعرّضت المنطقة (سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م) لتدمير المغول بقيادة جنكيز خان الذين كانوا يخلفون وراءهم الدمار والخراب حيثما وجدوا (<http://www.asiaalwsta.com>).

٣- مدن وادي فرغانة:

يوجد في وادي فرغانة العديد من المدن، وستركّز هذه الدراسة على أهم المدن التي أدت دوراً واضحاً في الحضارة العربية الإسلامية.

٣:١ التعريف بمدن وادي فرغانة:

يتوزّع وادي فرغانة على ثلاث قوميات، هي: التاجيكية، والأوزبكية، والقرغيزية كما ذكرنا سابقاً ويوجد فيه العديد من المدن، أشهرها تلك التي كانت محطات مهمة على طريق الحرير، ويمكن توزيعها على النحو الآتي (شكل رقم ٦):

أ- مدن وادي فرغانة التاجيكية: ويوجد مدينة واحدة هي:

خجندة أو خجند، أو خوجند khujand : وتقع على نهر سيرداريا، أوسيحون عند مصب وادي فرغانة، وهي عاصمة شمال بلاد التاجيك، يعود تاريخها إلى عهود قديمة، تقوم على موقع مدينة قديمة، وقعت في قبضة الإسكندر الأكبر حوالي (٣٢٩ ق.م)، كما أنّها مدينة تجارية تقع عند مدخل وادي فرغانة الخصب، ونظراً لذلك كانت واحدة من أكبر المراكز الرئيسية

لطريق الحرير العظيم، وتتمتع بالرخاء والثراء، عرفت منذ القرن السابع، فيها العديد من المعالم القديمة منذ القرون الوسطى كالقلاع والمساجد، مناخها معتدل (<http://www.advantour>).

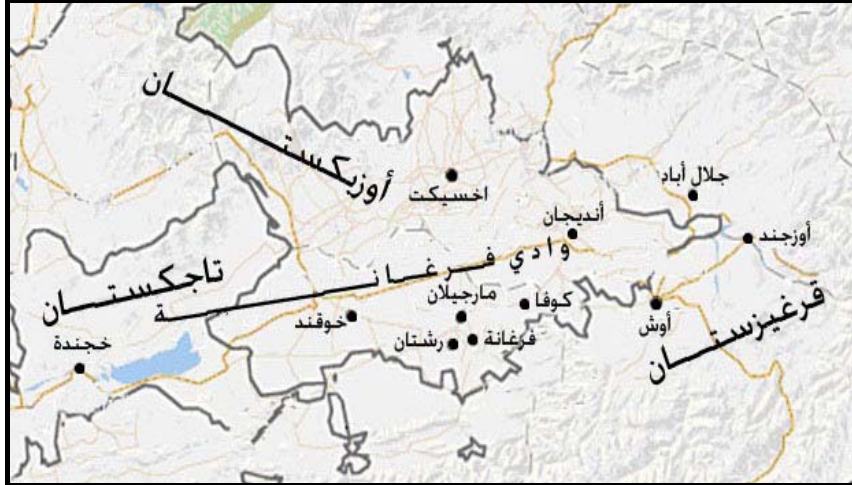
فتح المسلمون خوجند في القرن الثامن الميلادي، وأصبحت تابعة للدولة العباسية في أواخر القرن التاسع، ثم أصبحت جزءاً من الإمبراطورية السامانية، وخانات كارا-خاند Kara-Khanid Khanate في عام ٩٩٩م، بعد تقسيم كارا-خاند في عام ١٠٤٢م، أصبحت جزءاً من كارا-خاند الشرقية، وبعدها تعرضت للغزو المغولي (<http://en.wikipedia.org/wiki/Khujand>).

قال عنها العمري: "من أعمال فرغانة، ومن كبريات مدن ما وراء النهر، وكان عدد سكانها كبيراً، وتبعد عن سمرقند حالياً ١٨٤ ميلاً"، مدينة خجند من كبريات مدن ما وراء النهر بها قلعة وشهرستان - مركز مقاطعة (العمري، ١٤٢٣هـ، ص ١٤٣).

وقال عنها صاحب "مراصد الاطلاع": "بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون (أموداريا) بينها وبين سمرقند عشرة أيام، نزهة، في وسطها نهر جار، والجبل متصل بها، طولها أكثر من عرضها، يمتد أكثر من فرسخ، كلها دور وبساتين، وانظروا كيف كانت المسافة التي هي ١٨٤ ميلاً تقطع في عشرة أيام، فسبحان من يسر السفر وسهله" (صفي الدين، ١٤١٢هـ، ص ٤٥٣).

قال عنها ياقوت الحموي (الحموي، ١٩٩٥م، ص ٣٤٧) بما وراء النهر على شاطئ سيحون، مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار والجبل متصل بها وأنشد ابن الفقيه لرجل من أهلها:
ولم أرَ بلدةً بإزاء شرقٍ ولا غربٍ بأنزهٍ من خُجنده.

شكل رقم (٦): المدن الرئيسية في وادي فرغانة.



المصدر: عمل الباحث من : Map data © 2013 Auto Navi. Google

وقال عنها الإصطخري "خجندة متاخمة لفرغانة، وقد جعلناها في جملة فرغانة، وإن كانت مفردة في الأعمال عنها، وهي في غربي نهر الشاش وطولها أكثر من عرضها تمتد أكثر من فرسخ، كلها دور وبساتين وليس في عملها مدينة غير كند، وهي بساتين ودور مفترشة، ولها قرى يسيرة، ومدينة، وقهندز، وهي مدينة نزهة فيها فواكه تفضل على فواكه سائر النواحي، وفي أهلها جمال ومروءة، وهو بلد يضيق عما يموتهم من الزروع، فيجلب إليها من سائر النواحي من فرغانة وأشروسنة" (الإصطخري، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٣).

وقال عنها الحميري: "من مدن فرغانة وعلى نهر يأتي من الجنوب، وهي متاخمة لفرغانة وهي في غربي نهر الشاش، وقهندز خجندة وجامعها في المدينة، وهي حسنة المنصب كثيرة المنتزهات طيبة الفواكه وبها رمان لا يعدل به، يشف حبه لرقه قشره، وفي أهلها جمال ظاهر ومروءة بواطن، وزروعها لا تقوم بأهلها فهي تمار من فرغانة وأشروسنة" (الحميري، ١٩٨٠م، ص ١٨).

ب- مدن وادي فرغانة الأوزبكية: وتُشكّل معظم المدن في الوادي وهي المدن السبع الآتية:

١- كوكاند/قوقند/خوقند (Kokand): ويُطلق عليها أحياناً "مدينة الهواء والريح City of winds" لوقوعها في الجزء الغربي من وادي فرغانة، وهي واحدة من أكثر المدن القديمة في أوزبكستان، تم العثور على سجلات مكتوبة عنها في القرن العاشر. وتقع كوكند على مفترق طرق التجارة القديمة، عند تقاطع طريقين رئيسيين داخل وادي فرغانة، أحدهم يؤدي إلى الشمال الغربي على جبال طشقند والآخر إلى الغرب عن طريق خجندة (<http://www.marefa.org>).

نتيجة لذلك كانت قوقند نقطة النقل الرئيسية في وادي فرغانة، فكانت مركزاً تجارياً ودينياً مهماً على طريق الحرير في القرن الثالث عشر (شكل رقم ٦)، واشتهرت بكثرة مساجدها (فيها أكثر من ٣٠٠ مسجداً) ومدارسها الدينية، وتمّ تدميرها على يد المغول مع باقي مدن آسيا الوسطى (http://en.wikipedia.org/wiki/Central_Asia).

٢- أنديجان أو أندكان (Andijan أو Andizhan): وهي وريثة مدينة إرشى Ershi الأثرية القديمة التي يعود تاريخها للقرن التاسع ق.م، وكانت تقع على طريق القوافل التي تربط الصين مع آسيا الوسطى، ثم أصبحت محطة مهمة على طريق الحرير العظيم، لوقوعها في منتصف المسافة التي تصل بين مدينتين مهمتين على طريق الحرير هما: مدينة كاشغر Kashgar (في تركستان الشرقية - الصين حالياً) ومدينة خوجندة khujand التاجيكية (شكل رقم ٦).

اشتهرت أنديجان بكثرة خاناتها، وكانت بمثابة البوابة الشرقية لوادي فرغانة، حيث تقع في الجزء الشمالي الشرقي من الوادي وعلى نهر قاراداريا Karadarya، وتحاذيها في الجهة الجنوبية الشرقية الجبال وتلال الأمشكسكي Alamishikskie

الخلافة، الغنية بالنفط والغاز والمياه. وقد ذكر اسم أنديجان لأول مرة في سجلات القرنين التاسع والعاشر، حيث أصبحت جزءاً من الدولة السامانية، وتوصف بأنها "المدينة المشمسة The sunny city وتقع فلكياً عند تقاطع خط الطول ٢٧° شرقاً ودائرة العرض ٤٠° ٧' شمالاً.

تعتبر مدينة أنديجان النقطة الشرقية من سلسلة المستوطنات الأولى للحضارات القديمة التي شهدها وادي فرغانة، وقد دمرها جنكيز خان Genghis Khan في القرن الثاني عشر الميلادي، وأعاد بناءها حفيده قايدو خان Kaidu Khan في نهاية القرن الثالث عشر، أصبحت بعدها عاصمة وادي فرغانة لمدة ثلاثة قرون لاحقة^(٥).

٣- فرغانة (Fergana): تقع المدينة إلى الشرق من بلاد الأوزبك على نهر سردريا جنوب وادي فرغانة، قيل عن سبب تسميتها أن الملك الفارسي كسرى الأول (أنو شروان ٥٠١هـ - ٥٧٩م) بناها ونقل إليها من كل أهل بيت واحد وسماها "أزهر خانة" أي تعني من "كل بيت"، ثم قيل لها فرغانة. فتح العرب مدينة فرغانة بقيادة قتيبة بن مسلم عام ٧١٢م، واتخذها

(٥) تشير المصادر إلى أنّ بلاد دافان Davan (وادي فرغانة) كانت بلاد غنيّة، ومزدحمة بالسكان وفيها أكثر من ٧٠ مدينة في القرنين الأول والثاني ق.م، وكانت مدينة "إرشى" Ershi التجارية الواقعة على طريق الحرير عاصمة لهذه البلاد. وخلال الفترة التركية في العصور الوسطى، تم تغيير اسمها إلى Ershi Mingtepa، حيث بدأت بالتراجع على أثر انخفاض النشاط التجاري على طريق الحرير، علاوة على العديد من الفتوحات الغازية، حتى أصبحت أطلالا، وعلى بُعد ٣٠ من هذه المدينة تم بناء مدينة أنديجان. للمزيد انظر: زعبل، مجدي "الحوار العربي التركي حول قضايا الإسلام في آسيا الوسطى" على الموقع:

-http://asiaalwsta.com/citydetails_print.asp?cityID=12509

— Beatrice Forbes Manz, (1987) "Central Asian Uprisings in the Nineteenth Century: Ferghana under the Russians", [Russian Review](#), Vol. 46, pp. 267-281

السامانيون عاصمة لهم عام ٨٤١م، وخدم الفرغانيون في حرس البلاط العباسي في عهد المعتصم .

فرغانة مدينة واسعة فيما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيّطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، وهي كثيرة الخيرات واسعة الرستاق، فيها أربعون منبراً، تتميز بطابعها الإسلامي ومبانيها الإسلامية، وفيها العديد من الآثار والمساجد الإسلامية (مدن أوزبكستان الإسلامية، <http://www.torathayat.com/vb/showthread.php?p=9130>).

وقد أسهب الجغرافيون والمؤرخون في وصفها، ونُشير إلى بعضها على

النحو الآتي (زعبل، www.asiaalwsta.com) :

- قال القزويني: "فرغانة ناحية مشتملة على بلاد كثيرة بعد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك، أهلها من أتم الناس أمانة وديانة، على مذهب أبي حنيفة، وأحسن الناس صورة، كانت ذات خيرات وغلّات وثمرات.."
(القزويني، ١٩٨٤م، ص ٦٠٣).

- قال ياقوت: "كثيرة الخير، واسعة الرستاق- البساتين- يقال: كان بها أربعون منبراً، وبفرغانة في الجبال الممتدة بين الترك وبينها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه، والورد والبنفسج وأنواع الرياحين، مباح ذلك كله لا مالك له، ولا مانع يمنع الأخذ منه، وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من الفستق المباح ما ليس ببلد غيره" (الحموي، ١٩٧٧م، ص ٢٤٨).

- أما الإصطخري فقد قال عنها: "فرغانة اسم الإقليم، وهو عريض موضوع على سعة مدنها وقراها، وقصبتها- أي عاصمتها- اخسيكث، وهي مدينه على شط نهر

- الشاش يحيط بها سور، وخارجه ربض يحيط به سور آخر، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة" (الإصطخري، ١٩٦١م، ص ١٨٧).
- وقال عنها السمعاني: "وفيهم كثرة وشهرة في كل فن ونوع من العلوم، وهذه الكلية عجيبة (السمعاني، ١٤٠٨هـ، ص ٣٦٧).
- وهي ممتدة في واد على نهر سرداريا "سيحون" في أوزبكستان وطاجكستان وقرغيزستان، يزرع فيه القطن والكروم (مسعود، ٢٠٠٣م، ص ص ٤٤ - ٤٥).
- ٤- اخسيكت/أخسيكت/أخسيكت (Aksikent) أو (Ahsykenta) أو (Akhsikath) أو (Akhsi): وهي مدينة أثرية قديمة بها قلعة، تقع في الجزء الشمالي من وادي فرغانة عند التقاء نهري قوراداريا ونارين Naryn Rivers Qoradaryo and اللذين يُشكّلان نهر سير داريا، حيث تقع هذه المدينة على ضفته اليمنى، وكانت عاصمة الوادي، اشتهرت بزراعة القطن، تعرّضت لتدمير المغول، وفي القرن السابع عشر تعرّضت لتدمير آخر بفعل الزلازل القويّة التي دمرتها تماماً، ومع نهاية هذا القرن بُني إلى جانبها مدينة نمنجان Namangan الحديثة على بُعد ٢٥ كم عنها (<http://en.wikipedia.org/wiki/Madrassahs>).
- قال الحميري واصفاً اخسيكت: "وهي على شط نهر الشاش، على أرضٍ مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهي على شمال النهر.. ومصلى العيد على النهر، وفرغانة معادن الذهب والفضة بناحية اخسيكت، ولها مدن كثيرة.." (الحميري، ١٩٨٠م، ص ١٨).
- ٥- رشتان (Rishtan): وتقع على بُعد ٥٠ كم من غرب فرغانة، هي بلدة صغيرة تشتهر بصناعة الفخار، وتشير المصادر التاريخية إلى أنّ أكثر الحرفيين الموهوبين في هذه المهنة هم من رشتان، حيث يشتهر خزفها بالزخرفة، الذي يغلب عليه اللون

الأزرق المزجج glazed Ceramics (شكل رقم ٧)، وهو فريد من نوعه وتتم صناعته يدوياً من الأصباغ المعدنية الطبيعية المصنوعة من الطين الأحمر الذي يُستخرج فقط من هذه المنطقة، وقد انتقلت هذه الحرفة من جيلٍ إلى جيلٍ، وقد تعددت أصناف الأواني المصنّعة، من أطباق كبيرة lagans وأنية عميقة kosa، وأباريق الماء water-jug، وأواني الحليب vessels for milk التي تُزيّن العديد من المتاحف في العالم (زعبيل؛ www.asiaalwsta.com).

٦- كونا (Kuva):

مدينة (http://www.asiaalwsta.com/citydetails_print.asp?cityID=12511) صغيرة تقع في الشمال الشرقي من مدينة فرغانة (٢٠ كم). أخذت المدينة اسمها من قبيلة الترك التي تُدعى باسم "kuva" والمعروفة لدى شعوب القرغيز والأوزبك، وبداية تأسيسها غير معروف ولكن علماء الآثار الذين أجروا دراسة على جزء من المدينة القديمة أشاروا إلى أنّها ترجع إلى القرن الثالث عشر ق.م. ووفقاً للدراسة التي تستند إلى المصادر العربية تُشير إلى أنّها كانت تُعرف في العصور الوسطى المعروفة باسم مدينة قبا Kuba، التي كانت تقع على طول طريق القوافل القديم الذي كان يربط وادي فرغانة مع كاشغر. وقد احتلت كونا آنذاك المرتبة الثانية بعد مدينة اخسيكت العاصمة القديمة لوادي فرغانة. وقد تعرّضت المدينة إلى الغزو المغولي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي.

تتألف المدينة القديمة من ثلاثة أجزاء: هي: القلعة citadel والشاهرستان shakhristan (الجزء الداخلي من المدينة)، والريد (الريض Rabid) أو الجزء السكني من المدينة. وفي العصور الوسطى لعبت Kuva دوراً اقتصادياً

وسياسيا مهما في وادي فرغانة في الحرف اليدوية وخاصة الفخار، والأعمال الذهبية، ومعالجة المعادن.

شكل رقم (٧): السيراميك الزجاجي في مدينة رشتان.



المصدر: www.asiaalwsta.com

٧- مارغيلان (Margilan): وتعرف قديماً باسم مرغينان، وتقع في الجنوب الشرقي من وادي فرغانة، وهي مدينة قديمة، زارها الإسكندر الأكبر^(٦)، (وفي سنة ٢٠٠٧م

^(٦) هناك أسطورة تقول بأن اسم المدينة مرتبط مع غزو الإسكندر الأكبر، الذين فرشوا له السجاد الأحمر، واستقبلته واحدة من كبيرات المدينة بالدجاج والخبز، وسأل الإسكندر الأكبر عن اسم الطبق، فأجابوه "Murginon" وهذا يعني "الدجاج والخبز" وفي طريق العودة، ذاق طعم هذا الطبق مرة أخرى، فأطلق عليها اسم "Murginon"، ومنذ ذلك الوقت أصبحت المدينة تحمل اسم Margilan.

تم احتفال اليونسكو بها كمدينة تاريخية بمناسبة مرور ألفي عام على تأسيسها)، وتقع على مفترق طرق القوافل التجارية من الصين إلى الغرب والعكس بالعكس from China to the West and vice versa .

ويرتبط تاريخ نشأة المدينة ارتباطاً وثيقاً في افتتاح طريق الحرير وخاصة في القرن العاشر الميلادي، الذي جعل منها المركز الرئيسي في إنتاج السجاد والحرير الذي أصبح معروفاً في الشرق والغرب والمعروف باسم "أدراس خان أطلس" adras khan-atlas، الذي كان يصنع في المدينة ومحيطها ويصدر إلى أوروبا، والشرق، وعبر طرق الحرير القديمة المؤدية إلى بغداد، وكاشغر، وخراسان Khurasan، ومصر واليونان. وقد أنتجت هذه المدينة ٢٠ مليون م ٢ من الأقمشة الحريرية، ولا تزال تحتل هذه الشهرة حتى أيامنا هذه في الحرير الأطلس (<http://www.advantour.com/uzbekistan/margilan.htm>).

ج - مدن وادي فرغانة القرغيزية: ومن أبرزها المدن الثلاث الآتية:

١ - أوش (Osh): تُعد أوش من بين أقدم المستوطنات في آسيا الوسطى، واعتماداً على القطع الأثرية التي وجدها علماء الآثار فإن تاريخها يعود إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، وتقع عند مفترق طرق على طول الطرق التجارية القديمة (طريق الحرير)، خاصة الطريق المؤدي إلى مدينة كاشغر، كما اعتبرت نقطة الانطلاق لأقصر طريق جبلي يصل إلى جبال البامير، كما أنّها كانت من أكبر مراكز إنتاج الحرير في القرن الثامن الميلادي، ويوسّط المدينة "جبل سليمان، وكان تُسمّى (حتى القرن السادس عشر الميلادي) باسم "باراكوش أو الجبل الجميل "Nice –or "Bara Kuch"

Mountain^(٧)، وكانت تعد ثالث مدن فرغانة من حيث المساحة، وكان يوجد بالقرب منها رباط كبير يقصده المجاهدون من كل صوب (زعبل، www.asiaalwsta.com).

قال عنها الإصطخري: "وهي مدينة عامرة مسورة، بها قلعة ودار الإمارة، وهي ملاصقة للجبل الذي عليه مرقب مدينة الأحراس على الترك (الإصطخري، ٢٠٠٤م، ص ١٨٧).

٢- أوزجند/يوزكند/أوزجن (Ozgon or Uzgen): بلدة تقع فيما بين النهرين من نواحي فرغانة، كانت من أكبر الثغور والمراكز التجارية مع الترك، كما كانت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي عاصمة لفرغانة، ولها بساتين وحدائق وجنات ملتفة ومياه مخرقة (زعبل، www.asiaalwsta.com).

قال ياقوت: "بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال أوزجند، وأُخبرت أن كند بلغة أهل تلك البلاد معناه القرية كما يقول أهل الشام الكفر، ولها بساتين ومياه جارية، وهي بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، وهي آخر مدن فرغانة مما يلي دار الحرب، ولها سور وقهندز وعدة أبواب وإليها متجر الأتراك، ولها بساتين ومياه جارية (الحموي، ١٩٧٧، ص ٢٨٠).

٣- جلال آباد Jalalabad أو Dzhalal-Abad: مدينة تقع إلى الجنوب من وادي كوغازت Kugart، عند أقدام جبال باباش آتا Babash Ata، وبالقرب من نهر تشاتكال Chatkal أحد روافد نهر السير داريا الذي يبلغ طوله ٢٢٣ كم ومساحة حوضه ٧١١٠ كم^٢ (شكل رقم ٨). وتُعدّ المدينة من المحطّات الرئيسية لطريق

(٧) يُقال إن أوش "أقدم من روما"، وهناك العديد من الأساطير حول أصل المدينة - منها: بأن مؤسسها هو سليمان أو

الإسكندر الأكبر، وللمزيد انظر:

- <http://www.advantour.com/kyrgyzstan/osh.htm> <http://kyrgyz.traveler.uz/kyrgyz-cities/city/3>

الحريير المار في بلاد القرغيز. وقد أدت المنطقة دوراً كبيراً كمحطةٍ لضيافة للمسافرين، والتجّار والسياح، والحجاج ولآلاف السنين، ومحطة للمرضى (خاصة مرضى البرص) الذين يزورون المنتجعات العلاجية في هوزرت أيوب وبيجامبار-Hozret Ayub-Paigambar spa على ارتفاع 700 متر فوق مستوى سطح البحر نحو ثلاثة كيلو مترات خارج المدينة (<http://kyrgyz.traveler.uz/kyrgyz-cities/city/3>).

٣:٣ مواضع مدن وادي فرغانة:

تعتبر معظم مدن حوض وادي فرغانة مدناً نهريّة، تتوضّع على الجوانب السّهليّة لنهر السير داريا، أو روافده العديدة، أو في السهول والمروج المجاورة، أو على السفوح الجبلية المطلّة على الوادي، وتختلف مناسيب مواضع المدن التي تشملها هذه الدراسة، وذلك على النحو الآتي (شكل ٤):

أ- مدن تقع في السهل الفيضي لنهر السير داريا، وهي: خجندة (التاجيكية)، وأخسيكث، وكوكاند (الأوزبكية).

ب- مدن تنتشر على أطراف السهول الفيضية والمروج، وعند أقدام الجبال، وعلى السفوح الجبلية الدنيا، وتحاذي المدن السابقة من جميع الجهات، وهي: أنديجان، وفرغانة، ومارغيلان، ورشتان، وكوفا، وهي مدن أوزبكية.

ج- مدن السفوح الجبلية العليا: وتقع في الطّوق الأخير المرتفع من الحوض، وتحيط بالمدن السابقة من الجهات الشرقية، والجنوبية الشرقية، وهي: أوزجند، وأوش، وجلال آباد، وهي مدن قرغيزيّة.

٣:٣ المكوّنات العمرانية الأساسيّة لمدن وادي فرغانة:

من الدراسة التفصيلية لمدن وادي فرغانة - التي مرّ ذكرها سابقاً - يمكن القول بأنّ هذه المدن قد تأثّرت في مكوّناتها العمرانيّة الأساسيّة بمكوّنات المدن

العربية الإسلامية. ولا غرابة في هذا التأثير فقد ابتداءً التأثير الإسلامي في هذه المنطقة من عام ٢٢هـ (٦٤٩م) وتعمق خلال فترة الدراسة (القرون الأربعة الهجرية الأولى)، وتمثّل هذه المكونات بما يأتي:

شكل رقم (٨): نهر تشاتكال.



المصدر: kyrgyz.traveler.uz/kyrgyz-cities/city

- ١- القلعة (القهّندز في الفارسية): وتمّ بناؤها لأغراض دفاعية عن هذه المدن، خاصةً تلك المدن التي احتلت مرتبة عاصمة في فترة تاريخية معيّنة مثل مدن: فرغانة، وأخسيكت، وخجندة، وأنديجان، وأوزجند.
- ٢- الجزء الداخلي من المدينة (المساكن والسكان): وهي الكتلة الرئيسية من المدينة.

- ٣- الجامع / المسجد: وهو بناء أساسي يوجد في كل مدن وادي فرغانة، بل إن بعض المدن اشتهرت بكثرة مساجدها كما في مدينة كوكاند التي احتوت على ٣٠٠ مسجد، وفرغانة التي كان بها أربعون منبراً.
- ٤- دار الإمارة: أو دار الحاكم، فعلى سبيل المثال ذكر الإصطخري بأن مدينة أووش مدينة عامرة مسورة، بها قلعه ودار الإمارة.
- ٥- السوق: وهو جزء أساسي من نسيج مدن وادي فرغانة التي اشتهرت بسعة أسواقها وتنوع خيراتها، وذلك لأنها كانت محطات أساسية على طريق الحرير التجاري.
- ٦- المنشآت العمرانية الخدمية: مثل المدارس الدينية، والتكايا، والخانات، والربط (مفردها رباط)، وتكاد لا تخلو مدينة في وادي فرغانة من هذه المنشآت التي تخدم السكان، والتجار والمسافرين على طريق الحرير.
- ٧- سور المدينة: وتمتاز معظم المدن بوجود سور حولها، وبوابات في هذه الأسوار كمدخل للمدن، كما نلاحظ في مدن: فرغانة، وأخسيكت، وأوزجند، وأوش.
- ٨- الضواحي، أو الريض الذي يقع بين المدينة والسور، كما في ريض مدن: أخسيكت وكوفا.
- ٩- طرق المواصلات: وكان طريق الحرير العظيم يربط بين هذه المدن، هذا الطريق الذي ساعد على ازدهار المدن تجارياً وعلمياً وثقافياً، لكنّه في الوقت نفسه شكّل نقطة ضعف لهذه المدن، خاصّة حينما تعرّضت هذه المدن للاجتياح المغولي. وقد اشتهرت العديد من مدن وادي فرغانة بسعة رستاقها وخاصّة تلك التي احتلت مرتبة إدارية، وامتازت معظمها بكثرة قراها، وبساتينها، وحدائقها ومنتزهاته.

ونعرض هنا لبعض النماذج مما قاله الرحّالة العرب والمسلمون عن المكونات العمرانية الأساسية لمدن وادي فرغانة:

- قال ابن الوردى عن أرض فرغانة: وهي مجاورة أرض التبت، وهي أرض واسعة ذات كور وأقاليم ومدن وقرى وضياع، ومن مدنها المشهورة فرغانة وهي إقليم واسع وهي قاعدة ذلك الملك وبها أمم عظيمة وأسواق وخيرات (ابن الوردى، ٢٠٠٨م، ص ١٢٦).
- قال ابن حوقل: "وفرغانة اسم الإقليم، وهو عمل عريض موضوع على سعة مدنها وقراها وقصبتها أخشيكت K وليس بفرغانة مدينة إلاّ ولها قهندز وهي حصنة ذات بساتين ومياه جارية" (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص ص ٣٩٢، ٤٢٠).
- قال الحميري عن مدينة فرغانة: "لها ربض كبير عليه سور، وقهندزها في المدينة، ودار الإمارة والحبس في القهندز، ومصلى العيد على النهر، ومقدارها في الكبر ثلاثة فراسخ، وفي مدينتها وربضها مياه جارية مقدار فرسخين، وأسواقها في ربضها، ومدينتها" (الحميري، ١٩٨٠م، ص ٤٤٠).
- قال الإصطخرى: اسم الإقليم وقصبتها أخشيكت، وهي مدينة على شط نهر الشاش يحيط بها سور، وخارجه ربض يحيط به سور آخر، وتليها في الكبر مدينة قيا، وهي مدينة من أنزه تلك المدن، لها قلعة وربض وجامع وأسواق، ثم مدينة أوش وهي عامرة مسورة، بها قلعة ودار الإمارة، وهي ملاصقة للجبل الذي عليه مرقب مدينة الأحراس على الترك (الإصطخرى، ٢٠٠٤م، ص ١٨٧).
- قال الحميري عن مدينة خجندة: "من مدن فرغانة وعلى نهر يأتي من الجنوب، وهي متاخمة لفرغانة وهي في غربي نهر الشاش، وقهندز خجندة وجامعها في المدينة، وهي حسنة المنصب كثيرة المنزهات" (الحميري، ١٩٨٠م، ص ١٨).

٤- الدور الحضاري لمدن وادي فرغانة:

أدى وادي فرغانة أثناء فترة الدراسة دوراً كبيراً في التفاعل الحضاري العالمي بشكل عام، والحضاري العربي الإسلامي بشكل خاص، ويعود ذلك كما ذكرنا سابقاً إلى موقعه الاستراتيجي المهم، الذي كان بمثابة همزة وصل بين قوى اقتصادية، وسياسية، وثقافية في الشرق (بلاد الصين وما يجاورها)، والغرب (الأقاليم العربية والإسلامية في آسيا وإفريقيا، وبلدان أوروبا)، ولذلك ازدهرت مدن هذا الوادي، وكانت محطات مهمة على طريق الحرير العظيم، الذي كان أحد الأسباب الرئيسيّة، والشريان الحيوي المهم في إنتاج هذا الحجم الكبير من التفاعل الحضاري، في جميع جوانب الحياة، خاصةً الجانبيين: الاقتصادي، والاجتماعي، علاوة على السبب الرئيسي الآخر، الذي يتمثل في انتشار الإسلام بين سكان الوادي وما نتج عن ذلك من توطيد للأمن والاستقرار.

٤:١ الدور الحضاري الاقتصادي (التجارة العالمية على طريق الحرير العظيم):

لاستنتاج الدور الحضاري الاقتصادي لمدن وادي فرغانة، نقتبس الأقوال الآتية لبعض من الرحالة العرب والمسلمين الذين زاروا الوادي، وأشاروا إلى الشهرة الاقتصادية التي كان يتمتع بها أثناء فترة الدراسة:

- قال صاحب كتاب حدود العالم عن منطقة فرغانة:

"ناحية عامرة كبيرة ذات نعم وفيرة، وبها جبال كثيرة وصحار ومدن ومياه جارية، وهي باب تركستان، ويقع إليها الرقيق التركي الكثير، وفي جبالها معادن الذهب والفضة بكثرة، وكذلك النحاس والرصاص والنوشادر والزئبق والشمع الأسود وحجر البادزهر وحجر المغناطيس والعقاقير الكثيرة، ويرتفع منها

العنّاب والعقاير ذات الآثار العجيبة، وكان ملوك فرغانة قديماً من ملوك الأطراف ويدعونهم الدهاقين^(٨).

- قال الحميري: "وحذاء ما وراء النهر مروج ومزارع كثيرة، وبفرغانة معادن الذهب والفضة بناحية اخشيكث، ولها مدن كثيرة، وفي بعضها جبال بلق مؤلفة قطعة سوداء حالكة، وأخرى حمراء قانية، وأخرى صفراء فاقعة، وفي جبال فرغانة شجر الطبرخون الذي يحمل بزرها إلى الآفاق، وهو ضرب من الترنجبين، ويعمل منها النوشادر" (الحميري، ١٩٨٠م، ص ١٨).
- قال الحميري: "وتنحدر إليهم السفن من نهر الشاش، وهو نهر عظيم تجتمع فيه أنهار من حدود بلاد الترك والإسلام، ووراء خجندة مما يلي الشمال جبل شاهق مطل عليها يسمى شاورع" (الحميري، ١٩٨٠م، ص ١٨).
- قال الإصطخري عن أهل مدينة خجندة: "تنحدر السفن إليهم في نهر الشاش وهو نهر يعظم من أنهار تجتمع إليه من حدود الترك والإسلام، وعموده نهر يخرج من بلاد الترك في حد أوزكند ثم يجتمع إليه نهر خوشاب ونهر أوش وغير ذلك فيعظم ويمتد إلى أخسيكث ثم على خجندة" (الإصطخري، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٣).
- قال ابن حوقل: "وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة، وربما بلغ حدّ القرية مرحلة لكثرة أهلها، وانتشار مواشيهم ومراعيهم" (ابن حوقل، ١٩٩٢م، ص ٤٢٠، ٣٩٢).

(٨) تعني كلمة الدهاقين: - لغة: الدهاقين جمع دهقان، وهو لفظ فارسي معرب يطلق على رئيس القرية وعلى التاجر

وعلى من له مال وعقار، ويقال: دهقن الرجل وتدهقن أي كثر ماله. - اصطلاحاً: هم

أصحاب الأموال الذين يمثلون قوة اقتصادية وثقلاً مالياً في الدولة الإسلامية.

http://www.ibisonline.net/Research_Tools/Glossary.aspx?TermId=2511

- قال القزويني عن فرغانة : وبها من المعادن معدن الذهب والفضة والزئبق والحديد والنحاس ، والفيروزج والزاج والنوشادر والنفط والقيبر والزفت ، وبها جبل تحترق حجارته مثل الفحم ، يُباع ، وإذا احترق يستعمل رماده في تبييض الثياب ؛ وأعرف مثل هذا الحجر في جميع الأرض ، وبها عيون ماؤها يجمد في الصيف عند شدة الحر ، وفي الشتاء يكون حاراً جداً حتى يأوي إليها السوام لدفع موضعها (القزويني، ١٩٨٤م، ص ٦٠٣).
- من الأقوال السابقة التي أوردها بعض الرحالة العرب والمسلمين يُستدلّ على غنى وادي فرغانة بموارده الطبيعيّة والاقتصاديّة، والبشريّة، التي تتمثّل بما يأتي:
- ١- وفرة المياه من العيون والأنهار والروافد النهرية، وفي مقدّمها نهر السير داريا (سيحون، أو الشاش).
 - ٢- كثرة المواشي، وذلك لوفرة واتّساع المروج والسهول.
 - ٣- المزارع الكثيرة، ووفرة وتنوّع الخيرات الزراعيّة.
 - ٤- وفرة المعادن في أرض وادي فرغانة والجبال التي تطوّق الحوض من معظم جهاته، ومن أهم هذه المعادن: الذهب، والفضة، والحديد، والنحاس، والرصاص، والنوشادر، والزئبق، والشمع الأسود، وحجر البادزهر، وحجر المغناطيس، والعقاقير الكثيرة، والفيروزج، والزاج، والنفط، والقيبر، والزفت، والحجر الذي يشبه الفحم.
 - ٥- كثرة القرى، وارتفاع الكثافة السّكانية، لغنى الوادي بمقومات الحياة العديدة، وفي مقدّمها المعطيات الطبيعيّة.

- ٦- أدى نهر الشاش (سيحون) دوراً كبيراً في التواصل الحضاري بين سكان مدن وقرى وادي فرغانة وبلاد الترك والإسلام، وتمثل دوره - علاوة على أهميته للزراعة وتزويد السكان بمياه الشرب - في النقل التجاري النهري (السفن) بين مدن وادي فرغانة ابتداءً بمدينة أوزجند، مروراً بمعظم مدن الوادي، وانتهاءً بمدينة خجندة، ثم يسلك طريق الحرير أقاليم إيران والعراق وتركيا والشام وموانئ البحر الأبيض المتوسط.
- ٧- اشتهر ملوك فرغانة بأنهم "الدهاقين" أي الأثرياء، أو التجار، وهذا ساهم في إنعاش الحركة التجارية بين سكان الوادي والمناطق المجاورة وخاصة الأقاليم العربية والإسلامية، وذلك لتوفر عاملي الأمن والاستقرار اللذين امتازت بهما مدن وقرى الوادي.
- ٨- تجارة الرقيق التركي الذي اشتهرت به مدن الوادي، خاصة في فترة الحكم العباسي، الذي اعتمد عليهم في أعمال الخدمة المنزلية، وتطوّرت هذه التجارة للاعتماد عليهم في الخدمة العسكرية، وفي العصر العباسي الثاني أصبح لهؤلاء الرقيق منزلة سياسية عالية واعتمد عليهم في تسيير أمور الدولة، ووصول بعضهم إلى مراتب متقدمة في الجيش والدولة، واتّسعت هذه التجارة في الفترات التاريخية اللاحقة حتى وصلت ذروتها في العهد الساماني، والفاطمي، والأيوبي، وأخيراً وصلوا إلى سدة الحكم في العهد المملوكي^(٩).

(٩) هناك العديد من المراجع التي درست ظاهرة تجارة الرقيق التركي، وتعدد أشكالها، وكيفية تطورها في عهود لاحقة حتى وصل بعض من هؤلاء الرقيق إلى سدة الحكم، للمزيد انظر:

- محمد سهيل طقوش، ١٩٩٩م، " تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام" دار الفانوس، بيروت.

- قاسم عبده قاسم، ٢٠٠٧م، " عصر سلاطين المماليك" عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية،

القاهرة.

٩- تطور حرفة الصناعة، وتعدّد أنواعها، وذلك لوفرة خاماتها، فاشتهرت المنطقة بالعديد منها، مثل: صناعة النوشادر، وتبييض الثياب، وصناعة المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية، وبصناعة السجاد والبسط والأواني الخزفية والصناعات التقليدية المهمة والحرف اليدوية والملابس والثياب الموشاة والعباءات (مدن أوزبكستان الإسلامية، www.torathayat.com).

ونظراً للعوامل السابقة شهدت مدن وادي فرغانة حركة تجارية نشطة استيراداً وتصديراً خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى (فترة الدراسة) لممر طريق الحرير في معظم مدن الوادي، وأسهمت مساهمة واضحة في إيجاد تفاعل حضاري اقتصادي، وكانت ممراً تجارياً مهماً بين الصين وتركستان الشرقية (وعاصمتها مدينة كاشغر) شرقاً، وبين الأقاليم العربية والإسلامية غرباً.

٤:٢ الدور الحضاري الاجتماعي (العلمي، الثقافي، والفكري):

قال القزويني عن فرغانة بشكل عام (القزويني، ١٩٨٤م، ص ٦٠٣):

"ناحية مشتملة على بلاد كثيرة بعد ما وراء النهر، متاخمة لبلاد الترك، أهلها من أتم الناس أمانةً وديانةً على مذهب أبي حنيفة، وأحسن الناس صورة".

ومن دراسة العديد من المصادر والمراجع التي اهتمت برصد الحركة الثقافية في وادي فرغانة خلال فترة الدراسة، تبين للباحث بأن وادي فرغانة كان من أكثر مناطق الدولة العباسية تنوعاً (عرقياً) وغنىً، وحركةً، ونشاطاً في جميع جوانب الحياة، ولذلك ازدهرت مدنه وشهدت حركة علمية في مختلف التخصصات، وظهر فيها علماء، وفقهاء، وقضاة، ومُحدّثون، وأدباء، وشعراء أثروا الحضارة العربية والإسلامية بعلومهم هذه، بل كان لبعضهم تأثير كبير في الحضارة العالمية.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن كثيراً من علماء هذا الوادي ومن مدنه المختلفة كانوا يُنسبون إليه باسم "الفرغاني"^(١٠)، علاوة على علماء مدينة فرغانة، كما أنّ بعضهم كان يُنسب إلى المدينة التي وُلد، أو عاش فيها "الأوزجندي، والخندي، والأوشي... الخ". وقد تفاوت العلماء في نوع تخصصاتهم، وحجم إنتاجهم العلمي، ومدى تأثيرهم في بناء الحضارة العربية والإسلامية والعالمية، ولذلك سيتم التركيز في هذه الدراسة على: نماذج من المدن العلميّة في الوادي، وأشهر علماء تلك المدن، و نماذج لأشهر علماء الوادي ممن أسهموا في بناء الحضارة العربية الإسلامية والعالمية.

أولاً - نماذج من المدن العلمية في وادي فرغانة:

- أ- المدن الأوزبكية: وهي الأكثر عدداً في الوادي، والأكثر شهرة علمية وتجارية، ومن أهم هذه المدن:
- ١- فرغانة: وهي أشهر مدن الوادي، يُنسب إليها عدد كبير من العلماء أشهرهم:
- أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي الفرغاني^(١١): كان من أشهر علماء الفلك المسلمين، وترجمت أعماله إلى اللاتينية، وكانت معروفة في أوروبا، حيث كان يُعرف هناك باسم ألبونسار Albunasar، قدم إلى بغداد، وسكن واسط وفيها مات في ٢٨ رمضان سنة ٢٧٢ هـ. درس أبو معشر الفلكيين الهندي والفارسي بالذات، وانغمس في شؤون التقويم والتنجيم، ووصفه القفطي بعالم الإسلام في أحكام النجوم، وقد عمل في بغداد، وخدم الخليفة

(١٠) مثال على ذلك: القاضي حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني المشهور بقاضي خان.

(١١) للمزيد عن مؤلفات هذا العالم ومنجزاته أنظر:

العباسي المستعين، وقد ذاعت شهرته في أوروبا في العصور الوسطى، وكان باتيستا بورنا، المتوفى عام ١٦٠٦م، هو أول من وضع عنه مسرحية تدور حول أعماله في التنجيم. وقد أنشأ البلخي زيغ قلعة كتكز (الملقب بزيغ الهزارات)، الذي يمر خط نصف نهاره بهذه القلعة، وألف المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم، الذي ترجم إلى اللاتينية وإلى لغات أوربية أخرى، وطُبع في أوروبا مرات كثيرة، ترك أبو معشر مصنّفات جمّة في النجوم، وذكر منها ابن النديم بضعة وثلاثين كتاباً، وله أيضاً رسالة في علم الإسطرلاب، ورسائل القمر.

- أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وكان يُعرف بـ"ابن الفرغاني"، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري (السلمي، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٣٢ - ٢٣٥).

- رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن محمد ابن أبي نصر الحنفي الفرغاني، كان فقيهاً عالمياً، وشاعراً وأديباً وخطّاطاً، ولد في فرغانة عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م، ونشأ بها وتعلّم وقرأ النحو على مشايخ بلده، وقرأ المنطق على الإمام المفسر الفخر الرازي، وقدم إلى بغداد شاباً وصحب الشيخ شهاب الدين السهروردي، وأقام في رباط الزوزني، ثم تقدم في طلبه للعلم الشرعي والآداب العربية حتى صار إماماً في الفقه والأصول واللغة العربية، بقي مدرساً في المدرسة المستنصرية حتى توفاه الأجل. صلوا على جنازته في جامع القصر في بغداد ثم دفن في مقبرة الخيزران، (<http://ar.wikipedia.org/wiki>).

- الفقيه أبو المظفر محمد بن أسامة بن زيد بن النعمان الفرغاني، وأصله من بلاد ما وراء النهر، على مذهب الإمام أبو حنيفة. سمع الحديث ودرس الفقه

على علماء أصبهان وبخارى والري، وقدم بغداد عدة مرات، وحدث بها (السمعاني، ١٤٠٨هـ، ص ٣٦٧).

- وهناك علماء كثر ينتسبون إلى فرغانة نذكر منهم: المُحدث حاجب بن مالك بن أركين الفرغاني سكن دمشق وحدث بها وتوفي بها، والشاعر أبو الفتح بن إسماعيل الفرغاني (الحموي، ١٩٧٧م، ص ٢٥٣).

٢- أنديجان أو أندكان: قال ياقوت عنها: "ينسب إليها أبو حفص عمر بن محمد بن طاهر الأندكاني الصوفي، كان شيخاً مقرئاً عفيفاً صالحاً عالماً بالروايات، مات بقرية قلشان في جمادى الأولى سنة ٥٤٥هـ (الحموي، ١٩٧٧م، ص ٢٦٢).

٣- مارغيلان أو مرغينان: يصفها السمعاني بأنها "من أشهر البلاد من نواحي فرغانة، وقد أصبحت منذ عهد الفراهانيين أهم مدن المنطقة"، ومن علماء المدينة: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت ٥٩٣هـ)، من أكابر فقهاء الحنفية، من تصانيفه: "بداية المبتدى"، وشرحه: "الهداية" (زعبل، www.asiaalwsta.com).

ب- المدن القرغيزية: وفيها العديد من المدن العلمية والتجارية من أهمها:

١- أووش: من أقدم المدن وأكبرها في وادي فرغانة، اشتهر بها عدد من العلماء من أشهرهم: مسعود بن منصور الأوشي الفقيه، حدث عن عمر بن محمد الزرنجيري ببغداد لما حج سنة إحدى عشرة وست مئة وأوش بليدة من بلاد فرغانة خلف سيحون (شمس الدين، ١٩٩٣م، ص ٧٩)،

وعمران بن موسى الأوشي، ومسعود بن منصور الأوشي (زعبل،
www.asiaalwsta.com).

٢- أوزجند أو أوزكند: قال ياقوت عنها: "يُنسب إليها جماعة، منهم: علي بن سليمان بن داود الخطيبي أبو الحسن الإوز كندي، قال شيرويه: قدم همذان سنة ٤٠٥، روى عن أبي سعد عبد الرحمن بن محمد الإدريسي وأبي الحسن محمد بن القاسم الفارسي وأبي سعد الخركوشي وأبي عبد الرحمن السلمي وغيره" (الحموي، ١٩٧٧م، ص ٢٨٠).

ج- المدن التاجيكية (الطاجيكية): ويوجد في وادي فرغانة مدينة تاجيكية واحدة، هي: خُجندة، قال الإصطخري عنها: "يُنسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم، منهم أبو عمران موسى بن عبد الله المؤدب الخجندي، كان أديباً فاضلاً صاحب حكم وأمثال مدونة مروية، حدث عن أبي النصر محمد بن الحكم البزاز السمرقندي وغيره" (الإصطخري، ٢٠٠٤م، ص ٣٣٣).
وقال السمعاني عنها: "فُتحت سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك، خرج منها جماعة من أهل العلم في كل فن، منهم أبو زكريا يحيى بن الفضل الوراق الخجندي، من كبار الناس، ممن جمع الآثار، وخرج كثيراً، ورحل" (السمعاني، ١٤٠٨هـ، ص ٣٦٧).

وهي مدينة ثقافية فيها العديد من المراكز العلمية والثقافية، وخرج منها بعض شعراء وعلماء الفرس المشهورين، يُنسب إلى هذه المدينة عدد كبير من العلماء منهم:

يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن جلال الدين الخجندي المدني الحنفي (ابن العماد، ١٩٨٦م، ص ٦٠٠)، وأبو عبد الله سلمان بن

إسرائيل بن جابر بن قطن الخجندی، وهو من تلاميذ عبد بن حميد بن نصر الكسي (السمعاني، ١٩٦٢م، ص ٣٣)، وعبيد الله بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندی أبو إبراهيم، وكان فاضلاً كاملاً مُتقناً للحديث (الرافعي، ١٩٨٧م، ص ٢٤٥)، وغيرهم الكثير.

ثانياً - نماذج لأشهر علماء وادي فرغانة:

١- من علماء بلاد التاجيك: العالم أبو محمود خجندی: وهو أبو محمود حميد بن الخضر الخجندی، وهو الفلكي والرياضي الفارسي التاجيكي/الطاجيكي الأصل؛ والذي عاش في أواخر القرن العاشر للميلاد، ولد في دولة خجندة القديمة في حوالي ٤٩٠ ميلادية وتوفي سنة ١٠٠٠ للميلاد أخبر عنه نصر الدين الطوسي بأنه كان من حكام القبائل المغولية في منطقة خوجند ويحمل لقب خان، مما يدل على أنه ينحدر من عائلة النبلاء، ومن إنجازاته الحضارية العلمية الإسلامية العالمية (O'Connor, J. and Robertson, E. 1999).

أ- في علم الفلك:

- عمل الخجندی بتشجيع ودعم مالي من الأمراء البويهيين في مدينة راي؛ حيث عرف بأنه باني أول وأضخم مرصد فلكي متحرك في العالم، وذلك في السنة ٩٩٤ للميلاد.

- اخترع آلة السدس، وهي آلة لقياس زوايا ارتفاع الأجرام السماوية.

- اخترع آلة رصد سماها الآلة الشاملة، وهي محاولة منه لاختصار القيام بأعمال الرصد الطويلة الشاملة، وسجل محاولته تلك في رسالة أظهر فيها خصائص الآلة المبتكرة وكيفية استعمالها.
- أستخدم آلة ضخمة لرصد مراحل خط الزوال للشمس بجانب خطي الانقلاب الصيفي والشتوي لحساب الانحراف الكسوفي والحسوفي للشمس.
- حَسَبَ الميل المحوري بدقة لتكون قيمته: ٢٣ درجة، و ٣٢ دقيقة و ١٩ ثانية، التي كانت عبارة عن تحسين معنوي للقيمة التي حسبها الإغريقون القدماء: ٢٣ درجة، و ٥١ دقيقة، و ٢٠ ثانية، ولا تزال القيمة التي حسبها قريباً جداً للمقياس الحديث، وهو: ٢٣ درجة، و ٢٦ دقيقة.
- قاس خط عرض مدينة الري فوجده مساوياً لـ: ٣٥ درجة، و ٣٤ دقيقة، و ٣٩ ثانية.
- ب- في الرياضيات: وهو من الرياضيين الذين اهتموا بعلم الهيئة، ومن أبرز إنجازاته في هذا الحقل:
- اهتم بالعلوم الرياضية والفلكية، وكان له السبق في اكتشاف حالة خاصة للنظرية القائلة: "إنّ مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً".
- أعلن بوضوح وجود حالة خاصة من نظرية فرمات الأخيرة عندما يكون قيمة $n=3$ ، ولكن محاولته لإثبات النظرية كانت غير صائبة.
- يمكن أن يُعزى فضل اكتشاف قانون الجيب إليه، ولكنه لا يزال غير واضح إذا كان هو أول من اكتشف قانون الجيب؛ أو إذا كان أبو النصر منصور، أو أبو الوفا، هما من اكتشفاه أولاً.

٢- من علماء بلاد الأوزبك: العالم أحمد بن كثير الفرغاني^(١٢): وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني، كان عالماً في الرياضيات الفلك وأحكام النجوم ومهندساً، كان لأبحاثه الأثر الكبير في نهضة علم الفلك، وولد في مدينة فرغانة، ثم انتقل إلى بغداد وعاش فيها أيام الخليفة العباسي المأمون في القرن التاسع الميلادي، ويعرف عند الأوربيين باسم Alfraganus، سميت فوهة Alfraganus على سطح القمر باسمه، توفي بعد سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م.

ومن مؤلفاته: ألف كتباً كثيرة في علم الفلك كانت موضع اهتمام العلماء في الشرق والغرب، ومن أشهر كتبه:

- كتاب جوامع علم النجوم والحركات السماوية، أو المدخل في علم هيئة الفلك: في خمسة وثلاثين فصلاً وقد ترجمه جيرار الكريموني إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر للميلاد كما ترجم إلى العبرية، وقد طبعت ونشرت ترجمات هذا الكتاب عدة مرات خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.
- كتاب في الإسطرلاب، أو الكامل في صناعة الإسطرلاب الشمالي والجنوبي.
- كتاب الجمع والتفريق.
- كتاب عمل الرخامات.

ومن إنجازاته: أ- حدد قطر الأرض بـ ٦٥٠٠٠ ميل، كما قدر أقطار الكواكب السيارة.

(١٢) للعزيد عن هذا العالم انظر: <http://alfehrest.org/?lang=ar#!date=-36665863956000&scholar=10>

- مدونة بخاريون على موقع: <http://bukhariyon.wordpress.com/2010/03/17/alfraganu>

- شاهين، محمد علي (٢٠١٣/٢/٢) "أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني" على موقع:

http://www.alghoraba.com/index.php?option=com_content&task=view&id

- ب- يُعَدُّ من أعظم الفلكيين الذين عملوا مع المأمون وخلفائه، وفي سنة ٨٦١م، كلفه الخليفة المتوكل على الله بالإشراف على بناء مقياس منسوب مياه نهر النيل في الفسطاط، وهو أداة مهمة لقياس الفيضان وتقدير الخراج، فأشرف عليه وأنجز بناءه وكتب اسمه عليه.
- ٣- من علماء بلاد القرغيز: العلامة شيخ الحنفيّة قاضي خان الأوزجنديّ (الذهبي، ١٩٨٧م، ص ٣٩٦): وهو القاضي حسن بن منصور الأوزجندي، صاحب التصانيف، يقول الذهبي عنه: "رأيت مجلدا من أماليه في سنة سبع، وسنة ثمان، وسنة تسع وثمانين وخمسمائة"، وكتابه الهداية والبداية في المذهب أشهر من أن يُعرّف، وسمِع كثيرا من الإمام ظهير الدين حسن بن عليّ بن عبد العزيز، وإبراهيم بن إسماعيل الصّقاريّ، الذي قال عنه: العلامة جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيّد الحصريّ تلميذه، قال عنه: سيّدنا القاضي الإمام، والأستاذ فخر الملة، ركن الإسلام، بقيّة السلف، مفتي الشرق.

٥- النتائج والتوصيات:

١:٥ النتائج:

- يعتبر وادي فرغانة جزءاً مهماً من تركستان الغربية، شكّل عبر التاريخ همزة وصلٍ مهمة بين تركستان الشرقية (سينكيانغ الصينية حالياً)، وبين تركستان الغربية التي تشمل بلاد التاجيك، والأوزبك، والقرغيز، والتركمان، والكازاخ.
- شهد وادي فرغانة قيام مدن ساهمت في ازدهار الحضارة المحليّة في الوادي، والحضارة الإسلاميّة والعالمية خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، وذلك لأسبابٍ عديدة أبرزها: موقعه الاستراتيجي المهم، وغناه بالموارد الطبيعية المتنوّعة، والعامل الاقتصادي المتمثّل بغنى سكان هذه المدن لوقوع معظمها على طريق الحرير، والعامل الاجتماعي الذي يتمثّل بحياة الأمن والاستقرار التي أرسى قواعدها الإسلام ونعم به سكان الوادي خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى، وقد ترتّب عن هذه العوامل أن عاش سكان الوادي في نوعيّة حياة إنسانيّة متميّزة ثقافياً، وفكريّاً، وانعكس ذلك على كل المجتمعات المجاورة التي تعاملوا معها.
- كان من نتائج العوامل السّابقة أن أصبح وادي فرغانة منطقة جاذبة للسكان، فعلاوة على سكانه الأصليين من الأوزبك، والقرغيز، والتاجيك، فقد شهد تنوعاً عرقيّاً ومهنيّاً كبيراً من السكان الذين جاؤوا إليه من مختلف أرجاء الدولة العبّاسيّة، ومن بين العدد الكبير من المدن في وادي فرغانة استطاع الباحث أن يختار أهم إحدى عشرة مدينة منها، فهي الأقدم، والأكبر سُكّاناً، وهي أبرز

المحطات التجارية على طريق الحرير، كما ظهر فيها أشهر العلماء الذين ساهموا في بناء الحضارة العربية والإسلامية والعالمية بما قدموه من إنتاج علمي وثقافي، وهذه المدن هي:

خُجندة (التاجيكية)، كوكند، وفرغانة، وأنديجان، وأخسيكت، ومارغيلان، ورشتان، وكوفا (الأوزبكية)، وأوزجند، وأوش، وجلال آباد (القرغيزية).

- شكّلت مدن وادي فرغانة طيلة القرون الأربعة الهجرية الأولى مراكز إشعاع علمي وحضاري، ومحطات تجارية وكونت خلالها مراكز التماس والتواصل المكانية التي احتضنت كل أشكال التفاعل الحضاري (الاقتصادي والاجتماعي)، وأصبحت مدن وادي فرغانة مفتوحة أمام العرب والمسلمين يتنقلون فيها ويلتقون مع سكانها، تماماً كما كانت العراق والجزيرة العربية واليمن والشام وفلسطين مفتوحة الأبواب أمام أبناء فرغانة وغيرها.

- يُمثّل الإسلام المحفّز الأكثر تأثيراً في الحياة العلمية، والثقافية، والفكرية لمجتمع وادي فرغانة خلال فترة الدراسة (أفراداً وجماعات)، ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة من خلال أسماء علماء الوادي التي غلب عليها الطابع العربي الإسلامي، والإسلام هو الذي ميّز بوضوح بين ما قبله وما بعده في مسار التفاعل الثقافي بين سكان الوادي وسكان الأقاليم العربية والإسلامية والأوروبية، بحيث يستطيع الجميع أن يلاحظ حضور هذا العامل في حركة التداخل الثقافي الفرغاني العربي الإسلامي، ونقل هذه المجتمعات نقلة نوعية إلى مسرح التفاعل العالمي.

- مثّلت الحضارة الإسلامية حلقة مهمة في سلسلة الحضارة الإنسانية (Civilization Humanities) بشكلٍ عام، وفي أقاليم آسيا الوسطى (وادي

فرغانة) وخلال القرون الأربعة الهجرية الأولى بشكلٍ خاص، حيث كانت الدولة الإسلامية (العبّاسية) في أوج اتّساعها ومجدها، فأحدثت هذه الحضارة ثورة علمية عمّ خيرها العالم الإنساني كله، وأسهمت في وضع أساس الحضارات الحديثة (Modern civilization).

- من العرّض السابق يتفق الباحث مع الدكتور علي عفيفي بتعريفه للحضارة الإسلاميّة (The Islamic Civilization) بأنها: ما قدمه المجتمع الإسلامي للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، في الجوانب الروحية والأخلاقية، فضلاً عما قدمه من منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التطبيقية والتنظيمية، وما يخدم المجتمع الإنساني من الوسائل والأسباب التي تمنحه سعادة التعاون والإخاء، والأمن والطمأنينة والرخاء، وتمنحه سيادة النظام والعدل والحق، وانتشار الخير والفضائل الجماعية (عفيفي، ٢٠١٢م). ويدخل في هذه المساهمة أنواع التقدم الاجتماعي الشامل للنظم الإدارية، والحقوقية، والمادية، والأخلاق والتقاليد، والقيم، والعادات، وسائر طرق معاملة الناس بعضهم بعضاً في علاقاتهم المختلفة، وكل أنواع العلوم والثقافات.

٥:٢ التوصيات:

- يدعو الباحث مثقفي وادي فرغانة بشكلٍ خاص، وكل مهتم بالدراسات التراثية لهذه المنطقة بشكلٍ عام أن يعيدوا كتابة تاريخ المنطقة وتاريخ علمائها، خاصة أولئك الذي أُسدل عليهم ستار النسيان.
- يدعو الباحث رابطة العالم الإسلامي، والمنظمات الإسلامية المهتمة بإعادة لم الشمل العربي الإسلامي، أن يوجّهوا اهتمامهم وعنايتهم إلى تثقيف أبناء

وادي فرغانة من التاجيك، والأوزبك والقرغيز، وباقي أنحاء تركستان (الشرقية والغربية) من خلال قبولهم كمبعوثين في جامعات العالم العربي والإسلامي، بهدف إعادة العلاقات القويّة التي كانت تربط شعوب المنطقة بالشعوب العربية الإسلامية المجاورة خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى.

- وهذه دعوة موجّهة إلى جميع المؤسسات العلمية الموجودة في مدن وادي فرغانة تتمثل في: جمع الدّراسات التي أجريت عن علماء هذه المدن أو المراكز الثقافية والعلمية فيها، وترجمتها إلى اللغات الرسمية التي يتكلم بها سكان الوادي، وتوزيعها على المراكز العلمية في مدن الوادي، بهدف تعزيز الثقة في نفوس سكان الوادي، وإعادة التّواصل والتّقارب بينهم وبين وسكان الدول المجاورة بشكلٍ عامّ، وأبناء الدّول العربية والإسلامية بشكلٍ خاصّ، وغنيّ عن القول ما لهذا التّواصل من نتائج إيجابيّة على الأمتين العربية والإسلاميّة على الصّعيد العالمي، إذ إننا نعيش في حاضرٍ يقوم على الأحلاف والتكتلات بمختلف أشكالها وتوجّهاتها^(١٣).

- لقد كان سكان وادي فرغانة، بل وسكان الدولة العباسية بكافة قومياتهم ومذاهبهم خلال فترة الدراسة صانعين - كما رأينا - لديمومة التفاعل الثقافي في كافة أرجاء الدولة، وكان التعدّد العرقي والمذهبي عاملاً محفّزاً لهذا المسار الذي تعدّى العالم الإسلامي إلى التأثير الإيجابي على شعوب المحيط المجاور.

(١٣) ممّا يدلّ على أهميّة هذه التوصية، هو التوجّه الذي قام به ولا يزال الصندوق الدولي للإمام البخاري في القاهرة، حيث أعدّ رئيسه الدكتور عبدالله سعد موسوعتَيْن عن علماء المسلمين في آسيا الوسطى - بحتل وادي فرغانة مركزها - بعنوان "علماء آسيا الوسطى" للمزيد أنظر - موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات: <http://www.ziedan.com/foundation/3.asp>

ولأننا نعيش هذه الأيام في أقطار العالمين العربي والإسلامي حالة مُزرية من التناحر، والتنافر، والفوضى الدينية، والمذهبية، والعرقية، والفئوية، والجهوية، فإنّ الباحث يوجّه دعوة إلى صانعي القرار السياسي، والنخب الثقافية في هذين العالمين إلى ترسيخ وتعميق الحوار الهادف البناء في أقطارهم، في محاولةٍ جادّةٍ للاستفادة من هذه الظاهرة الحضاريّة الراقية مع بدايات الألفية الميلادية الثالثة، هذه الظاهرة التي وطّنها الإنسان في المكان واستفاد منها عبر الزمان بنوعية حياة عزّ نظيرها، من خلال منهجيّة حياة تحترم المسارات الحضارية لكل فئة وتستفيد منها، منهجيّة تقوم على: التقارب، والتكامل، والاندماج، فهل يُمكن ذلك؟

- يأمل الباحث أن تكون هذه الدراسة عن المنطقة بدايةً لدراسات أكثر عمقاً، كما يأمل أن تُساهم - ولو نسبياً - في إبراز الدور الحضاري العالمي والإسلامي لأبنائها، وأن تكون طرقةً جادّةً (جاءت بوقتها) على باب لأصدقائنا قد أغلق منذ مئة عام تقريباً^(١٤).

^(١٤) يقول محللون إنه وبعد نجاح ثورة ١٩١٧م الشيوعية، كانت وحدة وادي فرغانة مصدرَ خطرٍ للحكام الشيوعيين الجدد، فعمدوا إلى تقسيمه بصورة هزلية بين الدول الثلاث، حيث قام الزعيم السوفييتي الأسبق جوزيف ستالين عام ١٩٢٥م بتقسيمه بين أوزبكستان، وطاجيكستان، وقيرغيزيا. وللمزيد أنظر - شمت، خالد، فرغانة بوتقة انصهار لقوميات آسيا الوسطى، الجزيرة نت ٢٠٠٥/٥/١٤م على موقع: [http://www.aljazeera.net/news/pages/c9f52221-61c6-](http://www.aljazeera.net/news/pages/c9f52221-61c6-4a11-9723-bc5aaaf4ac8c)

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ابن العماد، عبدالحى بن أحمد الحنبلي، (١٩٨٦م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، مجلد ١١، دار ابن كثير، دمشق.
- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر، (٢٠٠٨م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق أنور محمد زنتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد، (١٩٩٢م)، **صوره الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن حوقل، محمد أبو القاسم، (١٩٢٨م)، **صورة الأرض**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله، (١٨٨٩م)، **المسالك والممالك**، دار صادر افست ليدن، بيروت.
- الإدريسي، محمد بن عبدالله، (٢٠٠٢م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- الإصطخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد الكرخي، (١٩٦١م)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبدالعال، منشورات وزارة الثقافة المصرية، القاهرة.
- الإصطخري، أبو القاسم إبراهيم محمد، (٢٠٠٤م)، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت.

- البلوي، سلامة، (٢٠٠٨م)، "مدخل لدراسة أمن الطرق في الحضارة الإسلامية"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥، العدد ١، ص ٩٧ - ١٠٥.
- جمعية وطن، (١٩٩٠م)، الآثار المعمارية في أوزبكستان إبداع لا يُقدّر بثمن، تعريب محمد البخاري، سلسلة كتب إيدن، دار غفور غلام لنشر المؤلفات الأدبية والفنية، طشقند.
- الحموي، ياقوت، (١٩٧٧م)، معجم البلدان، ح ٤، دار صادر، بيروت.
- الحموي، ياقوت، (١٩٩٥م)، معجم البلدان، ح ٢، ط ٢، دار صادر، بيروت.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (١٩٨٠م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين، (١٩٨٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عبدالسلام تدمري، مجلد ٤١، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الرافعي، عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم أبو القاسم، (١٩٨٧م)، التدوين في أخبار قزوين، ج ١، تحقيق عبدالعزيز العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السلمي، أبو عبد الرحمن، (٢٠٠٣م)، طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم، (١٤٠٨هـ)، الأنساب، تعليق عبدالله البارودي، ج ٤، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السمعاني، أبو سعد عبدالكريم، (١٩٦٢م)، الأنساب، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد.

- شمس الدين، ابن ناصر الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي، (١٩٩٣م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ج ١، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت
- صفى الدين، عبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي، (١٤١٢هـ)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج ١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.
- عفيفي، علي، (٢٠١٢م)، "علوم الحضارة الإسلامية ودورها الإنساني"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٥٥٨، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، (١٤٢٣هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٣، ط ١، المجتمع الثقافي، أبوظبي.
- قاسم عبده قاسم، (٢٠٠٧م)، عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (١٩٨٤م)، "آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.
- لسترنج، كي، (١٩٨٥م)، بلدان الخلافة الشرقية، تعريب: بشير فرنسيس - كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت.
- لومبارد، موريس، (١٩٩٨م)، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.
- محمد سهيل طقوش، (١٩٩٩م)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت.

- مسعود، الخوند، (٢٠٠٣م)، الموسوعة التاريخية الجغرافية والسياسية، ج٤، دار رواد النهضة، بيروت.
- الموصلي، نظيم، (١٩٧١م)، مُذَكَّرَات فِي جغرافية أوراسيا، مُحاضرات أَلقيت على طلبة السنة الثالثة في قسم الجغرافيا، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان.

ثانياً: المراجع غير العربية:

- Beatrice Forbes Manz, (1987), "Central Asian Uprisings in the Nineteenth Century: Ferghana under the Russians, **The Russian Review**, vol. 46, 1987, pp. 267-281.
- Bentley, H., Jerry, (1933), **World Encounters: Cross-Cultural Contacts and Exchanges in Pre-Modern Times**, Oxford University Press. New York
- Bernard, P., (1994), "Alexander and his successors in Central Asia", In János, (ed), History of Civilizations of Central Asia, Volume II, **The Development of Sedentary and Nomadic Civilizations: 700 B.C. to 250 A.D. Harmatta**, UNESCO Publishing ,Paris.
- Collins clear- type press, Scotland. - Watson.j.w, (1968), **Advanced Atlas**, Collins clears-type press, Scotland.
- O'Connor, J., and Robertson, E., (1999), **Mac Tutor History of Mathematics archive**, School of Mathematics and Statistics, University of St Andrews, Scotland.
- Wood, F., (2002), **The Silk Road: Two Thousand Years in the Heart of Asia**, University of California Press, Berkeley, California.

مواقع على شبكة الانترنت :

- <http://www.advantour.com/kyrgyzstan/osh.htm>-
- <http://www.advantour.com/uzbekistan/margilan.htm>
- <http://www.advantour.com/tajikistan/khujand.htm>-
- <http://alfehrest.org/?lang=ar#!date=-36665863956000&scholar=10->
- http://www.alghoraba.com/index.php?option=com_content&task=view&id -



- <http://www.arabency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display>
- <http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.conarticle&contentid=627>
- <http://www.aljazeera.net/news/pages/c9f52221-61c6-4a11-9723-bc5aaaf4ac8c->
- http://asiaalwsta.com/citydetails_print.asp?cityID=12509-
- [http://bukhariyon.wordpress.com/2010/03/17/alfraganu -](http://bukhariyon.wordpress.com/2010/03/17/alfraganu-)
- <http://en.wikipedia.org/wiki/File:Greco-BactrianKingdomMap.jpg>
- http://en.wikipedia.org/wiki/Fergana_Valley
- <http://en.wikipedia.org/wiki/Khujand->
- <http://en.wikipedia.org/wiki/Madrassahs->
- http://en.wikipedia.org/wiki/Palearctic_ecozone
- http://en.wikipedia.org/wiki/Terrestrial_ecozone-
- http://www.grida.no/graphicslib/detail/topography-and-hydrography-of-the-ferghana-valley_101
- <http://www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/Biographies/Al-Khujandi.html>
- http://www.ibisonline.net/Research_Tools/Glossary.aspx?TermId=2511-
- <http://www.jasas.net/vb/showthread.php?t=2027>
- <http://kyrgyz.traveler.uz/kyrgyz-cities/city/3>
- [http://www.marefa.org/index.php -](http://www.marefa.org/index.php-)
- <http://www.mawhoapon.net/Islamic-civilization/695-.html>
- WWW.travelzad.com/vb/t64560-8html-
- [http://www.torathayat.com/vb/showthread.php?p=9130 -](http://www.torathayat.com/vb/showthread.php?p=9130-)
- <http://wikimapia.org/1724988/ar->
- <http://www.yabeyrouth.com/pages/index994.htm>
- <http://www.ziedan.com/foundation/3.asp>

عززي

الباحث وصاحب العمل والمؤسسة

تتيح لك الجمعية الجغرافية السعودية فرصة
التعريف بإنتاجك العلمي وأجهزتك ومؤسستك
ويرامجك التي يمكن أن تستخدم الجغرافيين والجغرافيا.

أسعار الإعلانات

صفحة كاملة بمبلغ ١٠٠٠ ريال سعودي

نصف صفحة بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي

ربع صفحة ٢٥٠ ريالاً سعودياً



عزيزي عضو الجمعية الجغرافية السعودية
هل غيرت عنوانك؟ فضلاً املأ الاستمارة المرفقة وأرسلها على عنوان الجمعية
الاسم :
العنوان :
ص. ب.
المدينة والرمز البريدي :
البلد :
الاتصالات الهاتفية :
عمل : منزل : جوال :
بريد إلكتروني :
ترسل على العنوان الآتي :
الجمعية الجغرافية السعودية
ص. ب. ٢٤٥٦ - الرياض ١١٤٥١ المملكة العربية السعودية
هاتف : ٠٠٩٦٦ ١١ ٤٦٧٨٧٩٨ - فاكس : ٠٠٩٦٦ ١١ ٤٦٧٧٧٣٢
بريد إلكتروني : sgs@ksu.edu.sa
كما يمكنكم زيارة موقع الجمعية على الإنترنت على الرابط الآتي :
www.saudigs.org

آخر إصدارات سلسلة بحوث جغرافية :

- ٩٦- الحرارة والرطوبة الجوية واستهلاك الطاقة الكهربائية في مدينة جدة، د. هدى بنت عبد الله العباد.
- ٩٧- التحليل الكمي المقارن لكثافة التصريف مع التطبيق على حوض وادي العاقول بالمدينة المنورة، د. متولي عبد الصمد عبد العزيز.
- ٩٨- الاتجاهات نحو سلامة التلاميذ المروية بمدينة الرياض، د. محمد بن سعد المقرئ.
- ٩٩- خصائص متعاطي المخدرات المترددين على مستشفى الأمل بالدمام، د. حورية بنت صالح الدوسري.
- ١٠٠- الصناعة في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية، د. عبد العزيز بن إبراهيم الحرة.
- ١٠١- تقييم تدهور الغطاء النباتي وأثره على السياحة البيئية في منطقة جازان، د. آمال بنت يحيى الشيخ.
- ١٠٢- التباين المكاني لأوجه الدخل والإنفاق في المجتمع السعودي في الشرقية، أ.د. فريال بنت محمد الهاجري.
- ١٠٣- اشتقاق المعادلات التجريبية لتصميم منحنيات كثافة الأمطار في المملكة، د. محمد بن فضيل بوربه.
- ١٠٤- تغير الأمطار في منابع النيل وأثره في الاحتياجات المائية في مصر، د. مسعد بن سلامة مندور.
- ١٠٥- الاتجاهات الحديثة لنمو السكان وآثارها في منطقة المدينة المنورة، أ.د. محمد شوقي بن إبراهيم مكي.
- ١٠٦- البطالة في المملكة العربية السعودية تطور معدلاتها وتباينها، أ. نوال بنت حجي الحربي، أ.د. رشود بن محمد الخريف.
- ١٠٧- البلديات الحدودية الجزائرية بين الواقع والتطلعات، د. سليم براقدي بن العايش.
- ١٠٨- التحليل الكمي للطرق البرية بين المدن الإدارية في اليمن، د. عبد الولي بن محسن العرشي.
- ١٠٩- واقع نقل التلاميذ والتلميذات ذوي الإعاقة الحركية في مدارس التعليم العام بمدينة الرياض، أ.د. عامر بن ناصر المطير، أ.د. عبد العزيز بن سعد بن حمد المقرن، د. زيد بن عبد الله المسلط المشاري، د. عبدالرحمن بن محمد بن عبد الكريم الصالح.
- ١١٠- خصائص بعض عناصر مناخ المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، أ.د. عبد الله بن أحمد الطاهر

Price

أسعار البيع :

Individuals: 15 S.R.

سعر النسخة الواحدة للأفراد: ١٥ ريالاً سعودياً.

Institutions: 20 S.R.

للمؤسسات: ٢٠ ريالاً سعودياً.

*Handing & Mailing Charges are Added on the Above Listing.

❖ تضاف إلى هذه الأسعار أجرة البريد.

ISSN 1018-1423
Key title =Buhut Gugrafiyya

●Administrative Board of the Saudi Geographical Society●

Mohammed S. Makki	Prof.	Chairman.
Mohammed S. Al-Rebdi	Assoc. Prof	Vice-Chairman.
Malhi A. Al-Gazwani	Assis. Prof.	Secretary General.
Ali A. Al Dosari	Assis. Prof.	Treasurer.
Mohammed A. Meshkhes	Assoc. Prof.	Head of Research and Studies Unit.
Mohamed I. Aldagheiri	Assoc. Prof.	Rapporteur of electronic scientific theses publishing unit.
Tagreed H. Al-Gahni	Assis Prof.	Head of The Cultural and Media Committee
Anbara kh. Belal	Assoc. Prof.	Editor of Geographical Newsletter
Mohammed A. Alrashed	Assis. Mr.	Member

**The Cities of Ferghana valley and Their
Cultural Role in the Islamic world
(Through the first four Hijra Centuries)**

Dr. Khalaif Mustafa Gharaybeh



Saudi Geographical Society (S.G.S.)

● Editorial Board ●

Editor-in-Chief:	Mohammed A. Al-Saleh	(Ph.D.).
Editorial Board:	Saad N. Alhussein	(Ph.D.).
	Abdulla A. Al-Taher	(Ph.D.).
	Mohammed S. Al-Rebdi	(Ph.D.).
	Mohammed A. Meshkhes	(Ph.D.).

● Advisory Board ●

Amal Yusof A. Al-Sabah, Ph.D., Professor	University of Kuwait.
Hassan A. Saleh, Ph.D., Professor	The University of Jordan.
Abdullah N. Al-Welaie, Ph.D., Professor	Imam Mohammed Bin Saud Islamic Univ.
Mohammed A. Al-Gabbani Ph.D., Professor	King Saud University.
Nasser. A. Al-Saleh, Ph.D., Professor	Umm Al-Qura University.

● Correspondence Address ●

All Research Papers and Editorial Correspondence Should be sent to
The Editor-in-Chief, Dept. of Geography
College of Arts, King Saud University
P.O.Box 2456 Riyadh 11451
Kingdom of Saudi Arabia
Tel: 4678798 Fax: 4677732
E-Mail: sgs@ksu.edu.sa

All Views Expressed by Contributors to the RESEARCH PAPERS IN
GEOGRAPHY do not Necessarily Reflect the Position of the Editorial Board or
the Saudi Geographical Society

REFEREED PERIODICAL PUBLISHED BY SAUDI GEOGRAPHICAL SOCIETY

111



**The Cities of Ferghana valley and Their
Cultural Role in the Islamic world
(Through the first four Hijra Centuries)**

Dr. Khalaif Mustafa Gharaybeh